

المكتبة الخالدية في القدس

بقلم وليد الخالدي

"وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الأقوى، والمسجد المؤسس على التقوى، وهو مقام الأنبياء، وموقف الأولياء، ومعبد الأتقياء، ومزار أبدال الأرض وملائكة السماء. ومنه المحشر والمنشر، ويتوافد إليه من أولياء الله بعد المعشر المعشر. وفيه الصخرة التي صينت جدة أبهاجها من الإنهاج، ومنها منهاج المعراج، ولها القبة الشماء التي على رأسها كالتاج، وفيه ومض البارق ومضي البراق. وأضاءت ليلة الإسراء بحلول السراج فيه الآفاق".

صلاح الدين بن نجم الدين أيوب

صادف قبل عدة اعوام ذكرى مرور مائة عام على تأسيس المكتبة الخالدية في القدس الشريف، وإنه ليسعدني ويشرفني حقاً، في هذه المناسبة المباركة، أن أقدم،



أصالة عن نفسي، ونيابة عن آل الخالدي، وجمعية أصدقاء المكتبة الخالدية، هذا العمل الجليل الذي أنجزه الدكتور نظمي الجعبة، وأن أتقدم في الآن ذاته، بعظيم الشكر، وبالغ التقدير، إلى معالي الشيخ أحمد زكي يمانى، الذي كان له الفضل في قيام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، بطباعة هذا الفهرس على نفقتها، وإلى كل من الدكتور هادي شريفي، والدكتور كمال عرفات نبهان، المديرين العاملين السابقين للمؤسسة، وإلى الزميل الدكتور يوسف إبيش، المدير العام الحالي، والدكتورة أهداف سويف، لما أبدوا من حرص كي يرى هذا

العمل النور، وما بذلوا من جهد في هذا السبيل، وفقهم الله وأجزل لهم خير الجزاء. يظهر هذا الفهرس في زمن رديء تحف فيه بأولى القبليتين وثالث الحرمين أشد الأخطار وأدهاها، وهو زمن حرّي بنا أن نؤكد فيه كل التأكيد على عروة روحية لا انفصام لها بين أمة الإسلام وبيت المقدس الذي خصه الله سبحانه وتعالى بمعجزة الإسراء والمعراج، وبحضور السيد المسيح ومريم البتول، والذي قام نبي الله (صلعم) عن مسجده: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا" (رواه البخاري ومسلم وأبو داود).

ويكتسب ظهور هذا الفهرس في هذه الأيام الخالكة معاني خاصة، فهو شاهد ناطق على تفاني المؤمنين من أهل القدس في خدمة مساجده ومعاهده الدينية جيلاً بعد جيل، وعلى حرصهم الشديد على الحفاظ على تراث السلف الصالح والأجداد العظام، وصيانة مآثره التليدة. وهو سجل حافل لمساعي عائلة من العوائل المقدسية، من أعرقها ارتباطاً بمدينتهم في هذا السبيل، عن طريق تولي علمائها ومشايخها مناصب القضاء والإفتاء والمشخة والتدريس في جوار الحرم الشريف منذ القرن السابع الهجري على أقل تقدير، وعن طريق وقف ما بين أيديهم مما اقتنوه أو توارثوه من نفائس المخطوطات في العلوم الإسلامية الرئيسة على ذويهم وعلى ذريتهم، وعلى علماء مسجدي الأقصى وقبة الصخرة وفقراء المدينة من بعدهم. وهي سيرة التزم بها آل الخالدي على مر القرون، بل بعد أن انتقل بعضهم إلى العمل منذ أواخر العهد العثماني في مجالات أخرى دنيوية وإلى يومنا الحاضر.

استوفى الدكتور الجعبة البحث في مقدمته التالية في مقتنيات الخالدية من المخطوطات كل الاستيفاء، وهو أعلم الناس بها وأدراهم، وقد ناب عني مشكوراً في أداء هذه المهمة الصعبة. ولهذا، سأقتصر في كلمتي على نواح غيرها مضيفاً إلى ما ذكره أشياء عن تاريخ العائلة وظروف تأسيس المكتبة في مطلع القرن العشرين، ومسيرة نموها منذئذ، مع نبذة عن قيام جمعية أصدقاء المكتبة مؤخراً، ومساعيها لجعل الخالدية تحتل المكان اللائق بنفائسها وبمحيطها.

ينتسب آل الخالدي إلى الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه، ولقد قيل في ذلك أن عقب خالد قد انقرضوا جميعاً، ولم يبق منهم أحد، ويستشهد القائلون بذلك بما ذكره من النسابين الثقات مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري (توفي ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م) وابن أخيه الزبير بن بكار (توفي ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، وكذلك بقول ابن حزم (توفي ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، من أن ولد خالد كثروا "حتى بلغوا نحو أربعين رجلاً كانوا كلهم بالشام، ثم انقرضوا كلهم في طاعون وقع فلم يبق لأحد منهم عقب".^(١) وبالمقابل يقول البعض الآخر ونحن منهم إن الزبيرين لم يكونوا على شيء من الونام مع خالد أو عقبه، وإن الزبير بن بكار إنما نقل ما قاله عمه المصعب بحروفه، ورددته كما قرأه، وإن ابن الكلبي الذي توفي قبل المصعب بثلاثين عاماً (توفي ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) وهو من ثقات النسابين أيضاً لم يشر في جمهرة النسب إلى انقراض عقب خالد، وأن رواية

ابن حزم فيها نظر لافتقارها إلى الدقة في ما يختص بموقع الطاعون وتاريخه، وذكرها عدد الأربعين "الرمزي" تقليدياً، وصعوبة تقبل الانقراض الجماعي في آن واحد لعقب خالد حتى لو صح الرقم.^(٧)

ويقول القائلون بانقراض عقب خالد من معاصرنا إن نسبة الخالدي في فلسطين محدثة لم تشع إلا في القرون الثلاثة الأخيرة، أما ما قبل ذلك حتى القرن الثامن الهجري، فكانت النسبة التي أوردتها المصادر لهذه العائلة هي "الديري"، وإن أحداً من أعلام هذه الأسرة في القرن الماضي أو الحالي لم يضيف إلى اسمه النسب القديم (أي الديري) وإنما اقتصروا جميعاً على الخالدي،^(٨) والواقع أن نسبة الخالدي كانت معروفة في فلسطين منذ القرن السابع الهجري، كما يستدل من ترجمة ابن خلكان، (توفي ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) لأبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد بن نصر بن داغر بن عبد الرحمن بن المهاجر بن خالد بن الوليد المعروف بابن القيسراني الشاعر، وهي النسبة التي أملاها بعض حفدة المترجم له على ابن خلكان، والقيسراني نسبة إلى قيسارية، وهي بلدة تقع على ساحل البحر جنوب مدينة حيفا الفلسطينية الحديثة.^(٩)

أما ما هو أقرب إلى ما نحن بصددده فهو أن المكتبة الخالدية تحتوي على مخطوطة لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الخالدي المقدسي تاريخ نسخها ٦٠٨هـ/ ١٢١١م)، أي ما قبل وفاة ابن خلكان بحوالي سبعين سنة، وبعيد الفتح الصلاحي لبيت المقدس في (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، وبما أن المؤلف الخالدي يبدو خالي الذهن كلياً بالنسبة للإفرنج واحتلالهم للقدس فيما بين سقوطها العام (٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) واسترجاعها على يد صلاح الدين، فمن غير المستبعد أن يكون تأليف مخطوطته - المشار إليها سابقاً - لسقوط القدس في أيدي الفرنج،^(١٠) أما أن آل الخالدي أسقطوا في هذا القرن نسبة الديري فلا أساس له، إذ أن من أسس "الخالدية" لتكون مكتبة عمومية: الحاج راغب الخالدي، وهو عميد فخذ رئيس من أفخاذ الأسرة المعاصرة ذاته، يستهل مقدمته "لبرنامج المكتبة الخالدية العمومية" الذي طبعه بالقدس سنة (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م)، بالإشارة إلى نفسه بقوله: "أما بعد فيقول الفقير إليه تعالى راغب الخالدي الديري المقدسي ابن الشيخ نعمان راغب بن الفقيه محمد... الخ"^(١١)، كما أن ابنه (والدي) أحمد سامح، أحد أبرز أعلام العائلة في النصف الأول من القرن العشرين، كثيراً ما أضاف نسبة الديري إلى نسبة الخالدي في مصنفاته، وأوصى بإضافتها على شاهد قبره، بجوار مرقد الإمام الأوزاعي في العاصمة اللبنانية بيروت.

والتواتر بين أفراد العائلة عن الأسلاف، أن آل الخالدي إنما هجروا القدس قبيل سقوطها في أيدي الإفرنج ولجأوا إلى دير عثمان بالقرب من قرية مردى القريبة من قرية جماعيل من أعمال نابلس، ليعودوا إلى القدس بعيد الفتح الصلاحي بنسبة الديري ثم الخالدي، والله أعلم.

هذا، ولقد أورد جدنا الشيخ محمد صنع الله الصغير (توفي ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، وكان فقيهاً تضمن مجموع إجازاته إجازات كثيرة من علماء الأزهر الشريف وغيرهم، نسبة العائلة

إلى خالد بن الوليد على الشكل التالي: "هذه نسبة الفقير كما رأيته مسطراً في أحد مجاميع أجدادنا ناقلين ذلك من محله، فأقول مستعيناً بالله تعالى: الفقير الحاج محمد صنع الله بن محمد (١) بن خليل (٢) بن شرف الدين (٣) بن صالح (٤) بن محمود (٥) بن أحمد (٦) بن نجم الدين أبي البركات محمد (٧) بن زين الدين عبد القادر (٨) بن الشيخ زين الدين عبد اللطيف (٩) بن شمس الدين (١٠) بن شيخ الإسلام وقاضي القضاة محمد (١١) بن عبد الله شمس الدين المدفون بجمالاً (١٢) بن جمال الدين عبد الوهاب (١٣) بن سعد (١٤) بن محمد (١٥) بن عبد الله (١٦) بن سعد (١٧) بن أبي بكر (١٨) بن صالح (١٩) بن علي (٢٠) بن جعفر (٢١) بن مصلح (٢٢) بن غام (٢٣) بن أوفى (٢٤) بن سليمان (٢٥) بن جعفر (٢٦) بن محمد (٢٧) بن خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي ليث بن مخزوم رضي الله تعالى عنه.^(٧)

ويعقب العلامة الرحالة الثقة الشيخ خليل بن بدر الدين بن مصطفى الخالدي (توفي ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م)، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس، على هذه السلسلة بقوله: "إن سلسلة نسب شرف الدين (٣ في السلسلة) إلى أبي عبد الله محمد شمس الدين (أي ١١ في السلسلة) مستندة إلى قيود ووثائق السجلات بالحكمة الشرعية ومن شمس الدين المشار إليه إلى مصلح (٢٢ في السلسلة) مستندة إلى ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في رفع الإصر عن قضاة مصر، والحافظ شمس الدين السخاوي في طبقات الحنفية، والعلامة البقاعي،^(٨) والحافظ جلال الدين السيوطي في أعيان الأعيان. أما ما ذكره السخاوي فقد نقلته من خطه، كتبه خليل الخالدي".^(٩) انتهى كلام الشيخ خليل، وقد قيل أن أقدم ما نعرفه عن أمر نسبة الديرين إلى الخالدي ما ذكره المرادي عن محمد صنع الله الكبير (١ في السلسلة) أعلاه؛ (توفي ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م) حين وصفه "بصنع الله المعروف بالديري الحنفي والخالدي القدسي"،^(١٠) بينما يشير صك وقفية أبي الرضا طه بن صالح بن يحيى بن شيخ الإسلام نجم الدين أبي البركات محمد (٧ في السلسلة أعلاه) وتاريخه (١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)، إلى أن النسبة تعود على الأقل إلى منتصف القرن الحادي عشر الهجري.^(١١) ولعل أوراق المكتبة الخالدية ووثائقها العائلية العديدة تزيدنا علماً في هذا المجال بعد تصنيفها ودراستها.

وأول الديرين المقدسين الذي وردتنا أخبارهم بتفصيل هو محمد بن عبد الله شمس الدين (١١ في السلسلة)؛^(١٢) توفي سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م عن عمر يقارب التسعين، ووصفه أبو اليمن مجير الدين الحنبلي العليمي صاحب كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (انتهى من تأليفه سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) "بقاضي القضاة شيخ الإسلام". ولي شمس الدين مشيخة المدرسة المنجكية بالقدس في سن مبكرة سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م، ودرّس وحدّث... واشتهر اسمه وشاع ذكره ولم يبق في هذه البلاد في الحنفية نظيره، واستدعاه السلطان مؤيد شيخ إلى القاهرة سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م (وقيل ٨١٦هـ) وولاه قضاء الديار المصرية ثم أقرّوه في مشيخة المدرسة المؤيدية بالقاهرة، وقال عنه ابن حجر

العسقلاني (توفي ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م) في إنباء الغمر بأبناء العمر: "كانت له أحوال مع الأمراء وغيرهم يقوم عليهم ويأمرهم بكف الظلم"، وأنه باشر قضاء الحنفية بمصر "بشهامة وصرامة وقوة نفس، ثم امتزج مع المصريين ويأسر الناس". واستأذن السلطان الملك أشرف ليسافر إلى القدس بسبب اعتلال صحته، فأذن له وتوجه إلى القدس، حيث أدركته المنية ودفن بماملأ إلى جانب أبي عبد الله القرشي.

وأجبت شمس الدين خمسة أولاد اشتهر منهم أربعة هم: شمس الدين (اسماً ولقباً وكنية؛ ١٠ في السلسلة توفي ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م) وسعد الدين (توفي ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م) وبرهان الدين أبو إسحاق إبراهيم (توفي ٨٧٦هـ / ١٤٧١م) وعبد الرحمن أمين الدين (توفي ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م).

درّس شمس الدين الابن بالمعظمية بالقدس كما فعل والده من قبله، وقال مجير الدين عنه "اشتغل بالعلوم وبرع ودرّس وأفتى وانتفع الناس بفتياه... وكان كريم النفس قليل الحظ من الدنيا لين الجانب... فارساً شجاعاً".

وولي سعد الدين مشيخة المنجكية وتدرّس المعظمية بالقدس واستوطن مصر، حيث أخذ مشيخة المؤيدية عن أبيه، كما ولي قضاء الديار المصرية كأبيه واستمر فيه نحو خمس وعشرين سنة، و"عظم أمره وعلت مرتبته ونفذت كلمته" كما يقول مجير الدين. ويروي الشيخ التميمي^(١٢) في تراجم الحنفية أنه أشرط على نفسه أثناء ولايته "أن يبطل استبدال الأوقاف... وحصل للأوقاف من ذلك رفق كبير، وعمرت أوقاف الحنفية في ولايته وكثر متحصلها". ويقول عنه أبو الحسن إبراهيم البقاعي في تراجم الشيوخ والأقران: "ليس بالدنيا الآن أعلم بمذهب أبي حنيفة منه، والعمدة الآن في الفتوى عليه". ويذكر السخاوي عنه أنه "اشتهر ذكره وبعد صيته ونشره حتى إن شاه رخ ابن تيمور ملك الشرق سأل من رسول الظاهر جقمق عنه في جماعة، فلما أخبره ببقائهم أظهر السرور وحمد الله على ذلك".

ويضيف السخاوي "كثرت تلامذته وتبجح الفضلاء من كل مذهب وقطر بالانتماء إليه... وقرأت عليه أشياء وكتبت، من فوائده ونظمه جملة" توفي سعد الدين بالقاهرة عن عمر يقارب المائة، ونزل السلطان الملك الظاهر خشقدم وصلى عليه ودفن بتربة السلطان بإشارته.

ولد أبو اسحق إبراهيم ببيت المقدس وقدم القاهرة مع أبيه وهو صغير، وأخذ عن أبيه وأخيه سعد الدين ودرّس بالفخرية في حياة والده قبل استكماله خمس عشرة سنة، وناب عنه في مشيخة المؤيدية، وولي كتابة السر ونظر الجيوش والإسطبل السلطاني والجوالي (أي جباية الجزية)، ولم يدم طويلاً فيها، وولي قضاء القضاة بالديار المصرية كأخيه ووالده من قبله، ثم استقل في مشيخة المؤيدية استقلالاً إلى أن توفي. عرفه السخاوي ولقيه مراراً ووصفه "بالفصاحة في العبارة وقوة الحافظة وعدم الخوض فيما الأولى تجنّبه"، وحين توفي صلى عليه بحضرة السلطان، ودفن بالقرافة بالقاهرة جوار الشيخ أبي الخير الأقطع.

وولد عبد الرحمن أمين الدين بيت المقدس وانتقل في صغره مع أبيه إلى القاهرة، وما لبث أن درّس بالفخرية وعاد إلى القدس ليدرّس بالمعظمية ثم لياشّر نظر الحرمين (أي الحرم الشريف والحرم الإبراهيمي بالخليل). ورجع إلى القاهرة وولي نظر الإسطنبول والجوالي عوضاً عن أخيه إبراهيم. وعاد إلى القدس، حيث توفي أثناء ولايته الثانية لنظارة الحرمين، عرفه التميمي الذي يذكر أن عبد الرحمن أنشده كثيراً من شعره ووصفه بقوله: "كان من الفضلاء... فصيحاً بليغاً أديباً له ذوق تام في الأدب"، وقال عنه مجير الدين أن "أمره عظم في دولة الملك الظاهر جقمق"، ودفن بماملّا بالقدس إلى جانب والده.

وحذا الحفدة وأبناء الحفدة حذو الآباء والأجداد (أنظر الشجرة ١)، فشمس الدين الحفيد سمي والده وجده (توفي ٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، وأخوه جمال الدين يوسف (توفي ٨٧٨هـ/١٤٧٣م)، كلاهما ولي قضاء الحنفية بالقدس والرملة والخليل. واستقر تاج الدين عبد الوهاب (توفي ٨٩٢هـ/١٤٨٦م) بن سعد الدين بن شمس الدين الكبير في قضاء الديار المصرية ومشيخة المؤيدية بالقاهرة وفي قضاء القدس، وولي ناصر الدين هبة الله محمد (توفي ٩٠٩هـ/١٥٠٣م) قضاء القدس بعد أبيه تاج الدين عبد الوهاب، واستقر بدر الدين (توفي ٩١٤هـ/١٥٠٨م) بن أمين الدين بن شمس الدين الكبير في مشيخة المؤيدية وإفتاء الحنفية بمصر. وهكذا إلى آخر عهد الماليك وحلول آل عثمان محلهم في الديار المصرية والشامية، ولعل آخر من ولي قضاء مصر من آل الديري هو نجم الدين أبو البركات محمد (٧ في السلسلة).

وتعاقب العلماء من الديريين الخالدين على قضاء الحنفية بالقدس في العقود الأولى من العهد العثماني (أنظر الشجرة ٢)، فكان منهم شهاب الدين أحمد (٦ في السلسلة)، وابنه محمود (٥ في السلسلة)، وحفيده صالح (٤ في السلسلة)، وشرف الدين أبو البركات محمد (٣ في السلسلة)، كما ولي شيوخ العائلة مشيخة المدرسة الفارسية بالقدس بموجب براءة كانت تصدر من السلطان في إستانبول، فكان معظم شيوخ هذه المدرسة منهم في القرون التالية العاشر والحادي عشر والثاني عشر هجري أي من السادس عشر حتى الثامن عشر ميلادي.^(١٤)

وبدءاً بالقرن السابع عشر الميلادي، تولى العديد من فقهاء العائلة منصب رئاسة الكتابة بالحكمة الشرعية بالقدس، فضلاً عن نيابة القضاء في حال غياب القاضي التركي المعين من إستانبول أو قبل وصوله. وبسبب قصر مدد ولاية القضاة الأتراك وكثرة تبديلهم وطول غيابهم عادة، أصبح منصب رئاسة الكتابة المقترن بنيابة القضاء المنصب الديني الأهم في المدينة، وبخاصة أن الذين تولوه بقوا فيه لفترات مديدة وتوارثوه أباً عن جد، وبقي هذا المنصب شبه محصور بأفراد العائلة الخالدية طوال القرون الثلاثة الأخيرة من العهد العثماني إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حتى إن أحدهم محمد علي (توفي ١٢٨١هـ/١٨٦٤م) بن علي بن محمد بن خليل بن صنع الله، ظل فيه قرابة الخمسين عاماً.^(١٥)

ولم تقتصر مناصب القضاء التي تولوها علماء العائلة على مدينة القدس؛ فعلي (والد محمد علي الذي ذكرناه) تولى نيابة القضاء بيافا وغزة، كما تولى أخوه موسى (توفي

١٢٤٧هـ/ ١٨٣٢م) قضاء المدينة المنورة، ثم قضاء عسكر الأناضول، ومصطفى بن موسى (توفي ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م) تولى القضاء في إستانبول، وياسين بن محمد علي بن علي (توفي ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م) تولى قضاء طرابلس الشام.^(١١) و خليل بن بدر بن مصطفى تولى قضاء جل سمعان (حلب) وديار بكر بالأناضول وبلدة فالقاندلن بولاية كوسوفا في الروملي (بوصنيا)^(١٢) (انظر الشجرتين ٣ و ٤).

وحافظ علماء العائلة على العهد مع إستانبول، فوقفوا إلى جانب الدولة العثمانية خلال الحملة الفرنسية (نابليون) في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وخلال الحملة المصرية (إبراهيم باشا) بعدها.^(١٣) كما ظلوا على العهد خلال الحرب العالمية الأولى، وقاتل أبناءهم في صفوف الجيش العثماني ضد الحملة البريطانية. بيد أنهم انضموا مبكراً إلى حركة الإصلاح العثمانية، فكان موسى المشار إليه من المقربين إلى السلطان محمود الثاني عند قيام الأخير بالقضاء على الإنكشارية، وكان ياسين السالف الذكر من أنصار المصلحين محمد راشد باشا ومدحت باشا في السبعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي.^(١٤) وكان الشيخ خليل السالف الذكر أيضاً من أعضاء حزب الاتحاد والترقي.^(١٥) بينما كان الحاج راغب (توفي ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م) بن نعمان بن راغب أول من أعلن بالقدس خبر قيام الانقلاب وإعلان الدستور العام ١٩٢٦هـ/ ١٩٠٨م، وهو الخبر الذي حرص متصرف القدس التركي حينذاك على إخفائه.^(١٦)

وفي صدد نظرة أهالي فلسطين إلى الحملة "البونابرتية" في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، بين يدي نسخة لرسوم يحمل ختم موسى بن محمد بن خليل بن محمد صنع الله الكبير وتاريخه ٣ صفر سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م موجه "إلى كامل الأعيان والحكام بالأقصى (أي المسجد الأقصى في القدس) ومدينة نابلس والخليل ويافا وغزة ذات الاحترام ومن كان في تلك الجهات أجمعين" يقول فيه: "لا يخفى عليكم ما وصل علمه إلينا وإليكم من قيام أهل الشرك اللئام الفرنسية ومن معه من الأنام، أهلك الله الجميع على الدوام، وقد استولوا على أحسن الحصون البهية ثغر إسكندرية المحمية ومن كان عنده أدري دراية يعلم أن هذا فتح شر بعيد النهاية، وتمتد لباقي الثغور ويظهر منهم شر الشرور ولا يغرنكم [بالله] الغرور مع أن هذا الأمر قد اشتهر وأمره انتشر. ومن المعلوم أن القدس الشريف وما حوله من أماكن التشريف، حرم مقصود ونظر العدو إليه ممدود، بل هو الغاية القصوى لأهل الجحود".^(١٧)

وحرص مشايخ آل الخالدي عبر الأجيال على إقامة علاقات وثيقة مع أبناء طائفة الروم الأرثوذكس العرب، بالقدس ودعمهم في منافساتهم مع الطوائف الأخرى على الأماكن المقدسة المسيحية، وبسطوا عليهم حمايتهم، وكان لعميد العائلة حينئذ محمد علي السالف الذكر دور مهم في هذا الصدد، ذلك أنه خلال الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا في العشرينيات من القرن التاسع عشر، جاء أمر من إستانبول بقتل بطريك الروم الأرثوذكس وجميع المطارنة، فرفض محمد علي الذي كان نائباً شرعياً حينذاك تنفيذ الأمر، وأخفى البطريرك وصحبه في مغارة قرب باب العامود، أحد أبواب المدينة

القديمة، وتظاهر أمام الناس بتنفيذ الأمر "وعندما هدأت الأمور وانتهت الحرب أعلن محمد علي حقيقة ما فعل فقدّر الجميع صنيعه".^(٢٣) وفي دير الروم بالقدس يجد الزائر إلى يومنا هذا صورة زيتية كبيرة له معلقة مقابل مكتب البطريرك اعترافاً بفضله.

وفي العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، انتشرت المدارس والمعاهد العلمية الأجنبية في إستانبول والقدس وغيرهما من مدن الدولة العثمانية، وأخذت الدولة ذاتها في تأسيس نظام تعليم عصري قائم على قواعد أوروبية حديثة، كما أجرت إصلاحات في الإدارة المحلية، فأنشأت مجالس بلدية وأخرى استشارية على مستوى الولايات (مجالس عمومية) والمتصرفيات (مجالس إدارة). ورضخت للمطالبة بالمشاركة في الحكم. فتألف البرلمان العثماني (مجلس مبعوثان) الأول لدورتين العامين ١٨٧٧ - ١٨٧٨م، وتبعه البرلمان الثاني عقب إعلان الدستور العام ١٩٠٨م الذي استمر لغاية نهاية الحرب الأولى، وأفسحت إستانبول المجال لرعاياها من غير الأتراك للالتحاق بسلكها المدني والدبلوماسي الجديدين اللذين أعيد تنظيمهما نتيجة للإصلاحات الأخيرة.

وكان من الطبيعي أن يتأثر أفراد العائلة الخالدية بهذه التطورات، شأنهم في ذلك شأن سائر سكان القدس وغيرها، فتحول بعضهم من الخدمة في المناصب القضائية التقليدية إلى الخدمة في المجالات المدنية الجديدة، حتى طغى هذا الاتجاه تدريجياً عليهم خلال فترة الاحتلال البريطاني ١٩١٧ - ١٩٤٨ وبعده، وكانوا من أوائل الذين التحقوا بالمعاهد العلمية العصرية الرسمية والأجنبية والمناصب المدنية الحديثة الإنشاء أيام العثمانيين (انظر الشجرة ٤).

وهكذا أرسل يوسف ضياء الدين بن محمد علي (١٨٤٢ - ١٩٠٦م) الذي بدأ حياته الدراسية في حلقات المسجد الأقصى إلى الكلية البروتستانتية بمالطة، ثم إلى كلية روبرتس الأمريكية بإستانبول، وعين فيما بعد نائب قنصل في مدينة بوتني الروسية (على البحر الأسود)، وحاكماً لمقاطعة موطكي الكردية بالأناضول الشرقي. كما عين أول رئيس لبلدية القدس ١٨٦٧ - ١٨٧٣م. وانتخب يوسف ضياء الدين نائباً عن متصرفية القدس في البرلمان العثماني الأول (مجلس المبعوثان)، وحاز على لقب "باشا"، فكان النائب الوحيد عن فلسطين وواحدًا من أربعة عشر عضواً عربياً من بين أعضائه المائة والعشرين. وأمضى يوسف سنوات عدة مدرساً في مدرسة اللغات الشرقية في مدينة فيينا، حيث حقق وأصدر ديوان لبيد العامري، بعد أن أصدر أول قاموس عربي - كردي أسماه: "الهدية الحميدية في اللغة الكردية". ولازم يوسف جمال الدين الأفغاني وتوثقت علاقته به، وكان يوسف من أجرأ دعاة الإصلاح والمطالبين بالدستور.^(٢٤)

وتولى ياسين بن محمد علي رئاسة بلدية القدس (١٨٩٨ - ١٩٠١م) بعد أخيه يوسف ضياء الدين، كما عين عضواً في المجلس العمومي لبيروت، وتلقى روجي بن ياسين (١٨٦٤ - ١٩١٣م) دروسه الأولى في المسجد الأقصى، ثم ما لبث أن التحق بالمكتب الملكي السلطاني الحديث الإنشاء بإستانبول، ثم بجامعة السوربون بباريس، وانضم روجي إلى حزب الاتحاد والترقي، وكان وثيق الصلة بجمال الدين الأفغاني شأنه في ذلك

شأن عمه يوسف ضياء الدين . وعين مدرّساً في جمعية نشر اللغات الأجنبية بباريس ، ثم قنصلاً عاماً للدولة العثمانية في مدينة بوردو الفرنسية ، حيث أمضى عشر سنوات ، ثم انتخب نائباً عن القدس عقب إعلان الدستور في "مجلس المبعوثان" ، وأعيد انتخابه العام ١٩١٢م ، وتولى نيابة رئاسة المجلس . ونشر روجي بحوثاً قيمة عديدة معظمها في مجلة الهلال المصرية ، منها : "فيكتور هيغو وعلم الأدب عند الإفريج والعرب" ، و "الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة" و "رسالة في سرعة انتشار الدين الحمدي" ،^(١٥) وألف مخطوطاً في "الصهيونية" سنأتي على ذكره للتو ، ودرس نظيف بن عبد الرحمن بن محمد علي (توفي ١٩١٦م) الهندسة في استانبول ، وعين مهندساً لبلدية بيروت بعد انتهاء عمله في إنشاء سكة حديد الحجاز.^(١٦)

وتنبه علماء آل الخالدي مبكراً إلى الخطر الصهيوني بعد بدء الهجرة الصهيونية في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي ، وبخاصة بعد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بازل (سويسرا) في آب / أغسطس ١٨٩٧م ، وفي أول آذار / مارس ١٨٩٩م ، وجّه يوسف ضياء الدين إلى ثيودور هرتسل مؤسس الصهيونية ورئيس المنظمة الصهيونية رسالة عبر صديق هرتسل كبير حاخامي فرنسا صدوق كاهن ، ومما جاء في الرسالة : "إن فلسطين تكوّن جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية وهي مأهولة اليوم بغير اليهود ويقدّس هذه البلاد ٣٩٠ مليون مسيحي و ٣٠٠ مليون مسلم ، فبأي حق يطالب بها اليهود لأنفسهم ؟ إن الأموال اليهودية لن تستطيع شراء فلسطين ، ولذا فإن امتلاكها لن يكون إلا بقوة المدافع والسفن الحربية . . . لذا حتى لو حصل هرتسل على موافقة السلطان عبد الحميد على المخطط الصهيوني ، فعليه ألا يفكر بأنه سيأتي اليوم الذي يصبح فيه الصهيونيون أسياد هذه البلاد".^(١٧)

ويأتي رد هرتسل في رسالة مباشرة إلى يوسف ضياء الدين بتاريخ ١٩ آذار / مارس ١٨٩٩م بالفرنسية ، ويقع الرد في أربع صفحات ، وفحواه أن الصهيونية لا تبيّت إلا كل الخير للدولة العثمانية ولسكان فلسطين عموماً ، وأنها ستعين الدولة العثمانية على التخفيف من ديونها ، وأنه في حال عدم موافقة إستانبول على المخطط الصهيوني ، فإن الحركة الصهيونية ستتوجه إلى بلد غير فلسطين ، وأنها قادرة على إيجاد هذا البلد البديل . وهذه الرسالة هي الوحيدة الموجهة من هرتسل إلى زعيم عربي على ما نعلم.^(١٨) ويحاول نظيف بن عبد الرحمن بن محمد علي السالف الذكر قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى الاتصال ببعض كبار زعماء الحركة الصهيونية في فلسطين ، لسبر غور أهدافهم ، ويسهم في لقاءات بينهم وبين شخصيات عربية بارزة من بينها محمد كرد علي ، وعبد الرحمن الشاهيندر ، وشكري العسلي ، وتتوقف هذه اللقاءات بعيد نشوب الحرب.^(١٩) ويعرب خليل بن بدر بن مصطفى السالف الذكر في أوائل الحرب العالمية الأولى في رسالة إلى موسى شفيق بن طاهر علي أحد أبناء عمومته الذي كان قاضياً شرعياً (ت ١٩٢٧م) عن أمله في أن تكون نتيجة الحرب النصر للألمان وحلفائهم العثمانيين "وباب سعادة وإقبال لهذه الأمة الإسلامية التي تكالب عليها الطامعون وأضر بها أعداؤها المدلسون" ، ويتوقع أن ينتج

عن انتصار ألمانيا "تقسيم القارة الأوروبية تقسيماً جديداً... وستنفضل عن الروس بهذه الحرب الضروس ممالك واسعة وأرجاء شاسعة معظمها مسكون بجمهور الإسلام. وأما النتيجة على بلادنا فلسطين، فهي خلاصها من ربقة الصهيونيين وشركهم، وهذا أمر بين لا تردد فيه".^(٢١) ويحذر روجي بن ياسين في مقابلة صحافية مع جريدة "هتسفي" العبرية الصادرة بالقدس العام ١٩٠٩م من أن استمرار الهجرة الصهيونية والنشاط الاستيطاني في فلسطين قد يؤديان مستقبلاً إلى طرد العرب أهالي البلاد الأصليين من فلسطين، ويخاطب الصهيونيين قائلاً: "لسنا مدينين لكم بشيء، فقد فتحنا هذه البلاد من البيزنطيين وليس منكم".^(٢٢) ويثابر روجي مع غيره من النواب العرب في طرح موضوع الصهيونية في "مجلس المبعوثان" الذي كان عضواً فيه ونائباً للرئيس. وفي إحدى خطبه العام ١٩١١م ينبه إلى تكاثر عدد المهاجرين اليهود في فلسطين، وبخاصة إلى سعة ما اشتروه من أراض في متصرفية القدس، وإلى عدم جدوى تدابير الدولة العثمانية لتحديد الهجرة وضبطها، وإلى خطورة كون نسبة العثمانيين من يهود فلسطين لا تتجاوز عشرة في المئة، بينما الباقيون من رعايا دول أوروبية.^(٢٣) وينكب روجي في آخر سني حياته على كتاب دراسة بعنوان "السيونزم أو المسألة الصهيونية"، وهو المخطوط الذي أشرنا إليه آنفاً، وتتضمن الدراسة فصلاً عدة منسقة، الأسباب والدوافع التي أدت إلى قيام الحركة الصهيونية في القرن العشرين، وفي علاقة اليهود الدينية بفلسطين، وعلاقتهم بالعرب والدول الإسلامية على مر العصور، وفي مداورات المؤتمرات الصهيونية وقراراتها، بدءاً بالمؤتمر الأول، وفي المؤسسات الصهيونية واليهودية في فلسطين. ويختتم المؤلف الدراسة التي لم ينهها قبل وفاته في فلسطين. ويختتم المؤلف الدراسة التي لم ينهها قبل وفاته العام ١٩١٣م بفصل قائم على البحث الميداني عن جميع المستعمرات التي تم إنشاؤها مع إحصائيات مفصلة عن كل مستعمرة على حدة، وعن مساحات الأرض التي اشتراها الصهاينة وبائعها، وهكذا تكون هذه الدراسة بلا منازع أول دراسة أكاديمية مفصلة موثقة بالعربية في الحركة الصهيونية في هذا القرن.^(٢٤)

تأسيس المكتبة الخالدية ١٧٢٠ - ١٩٠٠م

ليست الخالدية المكتبة الإسلامية الفلسطينية الوحيدة التي سلمت مما حل بالبلد من نواب وأهوال العامين ١٩٤٨ و ١٩٦٧. وفيما يلي قائمة بهذه المكتبات والخزائن الناجية الأخرى مع مواقعها وعدد المخطوطات العربية في كل منها:

١. خزنة عبد الله أبي الخير (أبو سنان، ١٣١ مخ)؛
٢. خزنة جامع أحمد باشا الجزائر (عكا، ٧٨ مخ)؛
٣. خزنة جامع قرية برقين (قضاء جنين، ١١ مخ)؛
٤. مكتبة الحرم الإبراهيمي (الخليل، ١٤٧ مخ)؛
٥. مكتبة جامع يافا الكبير (يافا، ٣٣٩ مخ)؛
٦. مكتبة المسجد الأقصى (القدس، ٦٦٦ مخ)؛
٧. المكتبة البديرية (القدس، ٦٣٦ مخ)؛

٨. مكتبة الحسيني (القدس، ١٧٢ مخ)؛
٩. مكتبة المتحف الإسلامي بالحرم الشريف (القدس، ٦٤٤ مخ، معظمها نسخ من مصاحف مهداة إلى مسجدي الأقصى وقبة الصخرة)؛
١٠. خزانة كلية الدعوة وأصول الدين (قرية بيت حانينا قضاء القدس، ١١٠ مخ)؛
١١. خزانة آل صوفان (نابلس، ٤ مخطوطات)؛
١٢. خزانة الحاج نمر النابلسي (نابلس، ٩٨ مخ)؛
١٣. الخزانة الجوهرية (نابلس، ٥٢ مخ)^(٢٥)؛
١٤. خزانة الشيخ طاهر أبي السعود (القدس، ؟).^(٢٥)

وتتميز الخالدية بالمزايا التالية:

١. اختيرت معظم مخطوطاتها بعناية وتبصر من قبل علماء فقهاء اعتمدها مراجع في مناصبهم التدريسية والقضائية المختلفة على مر القرون.
٢. تضم المكتبة إلى جانب المخطوطات، آلاف الوثائق والأوراق العائلية والخاصة التي تركها العديد من ذكرنا من أفراد العائلة.
٣. تضم كذلك خزائن الكتب المطبوعة بالعربية وبلغات أجنبية لبعض أبرز أفراد العائلة من المتأخرين، ويبلغ عدد هذه الكتب التي يعود معظمها إلى القرن التاسع عشر الميلادي حوالي ٤٥٠٠ مجلد.
٤. تعتبر مجموعة مخطوطات الخالدية أكبر المجموعات الفلسطينية ومن أكبر المجموعات الإسلامية الخاصة في العالم. ولقد أحصى محرر فهرسها (الذي بين أيديكم) الدكتور نظمي الجعبة حوالي ١٢٠٠ مخطوط تضم حوالي ٢٠٠٠ عنوان.

وأول من بلغ إلى علمنا من آل الديري الخالدي أنه وقف كتبه، هو الشيخ أبو الرضا طه بن صالح بن شرف الدين يحيى (انظر الشجرة ٢)، وشرف الدين يحيى الجد هذا هو أخو شهاب الدين أحمد (الرقم ٦ في السلسلة). وتحمل حجة وقف الشيخ طه تاريخ العام ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م، ويستهل الشيخ طه شرح الأسباب الداعية لتأسي وقفه بقوله: "إني لما ابتليت بخدمة القضاء وفصل الأحكام بمدينة القدس الشريف وبلد الله الحرام وشاهدت ما يحصل في المتروكات إذا انتقل الإنسان من التهاون والهوان، ولا سيما إن كان من العلماء أولي الكتب العظيمة الشأن"، استخار الله في وقف "ما أنعم الله به عليه من الكتب التي حصلها بعضها بخطه وبعضها بالشرأ وصانها بمشيئة الله بذلك عن الضياع والنوى"، ثم يعدد الشيخ طه كتبه التي وقفها بعناوينها وتبلغ نيفاً وخمسين مجلداً، ويجعلها وقفاً على نفسه ثم من بعده على ابنه "نور الله بصره وبصيرته لتحصيل العلوم"، ثم من بعده على عقبه، وإذا انقرضوا "على علماء المسلمين، سواء أكان من أهل بيت المقدس أم غيرهم"، بيد أننا لا نعلم شيئاً عما آلت إليه كتب الشيخ طه (توفي ١٠٧١هـ/١٦٦٠م) وإلى أين انتهت.^(٢٦)

ونستطيع أن نحدد بدقة متى تأسست نواة الخالدية وعلى يد من؛ فمؤسسها هو محمد صنع الله الكبير (ت ١١٣٩هـ/١٧٢٦م) السالف الذكر (انظر الشجرة ٣)، بموجب

حجة وقف حررت العام ١١١٣هـ / ١٧٢٠م، وجعل "الوقف وقفاً صحيحاً شرعياً وحبساً صريحاً مرعياً لا ينمحي اسمه ولا يندرس رسمه ولا يضيع عند الله ثوابه وأجره، وكلما مر عليه زمان أكده، وحيثما أتى عليه دهر وأوان وطده وأخلده، يجري الحال على ذلك كذلك أبد الأبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين"، ووقف الواقف كتبه التي ذكرها بعناوينها وبلغ عددها حوالي ٥٦٠ مخطوطاً على نفسه وعلى ذريته من الذكور، فإذا انقرضت آلت الكتب للعلماء "ينتفعون بها بالمطالعة بالصخرة المشرفة"، وكانت معظم الكتب الموقوفة في الفقه والأصول والفرائض والحديث والنحو وتوابعه، وشرط محمد صنع الله على الناظر على وقفه "ألا يعير كتاباً لمتجوه (أي لذي جاه) ولا لذي شوكة ولا لمن يعسر عليه الخلاص منه ولا يخرج من يده، إلا لمن احتاجه من العلماء لمراجعة مسألة من كتاب، فيظهر له الكتاب ويطلع المسألة بحضور الناظر، ثم يعيده لخله مع الكتب، وإذا دعت الضرورة لأحد من العلماء أن يستعير كتاباً فيأخذ منه الناظر رهنًا ولا تزداد العارية (أي الإعارة) على شهر".

وواضح كل الوضوح من الشروط الخاصة بالناظر أن الواقف لم يرغب في اقتصار استعمال كتبه على ذريته بل أراد أن تكون بوجود عقبه، بتصرف العلماء المخلصين عامة. وهكذا يمكننا اعتبار محمد صنع الله الكبير ليس مؤسس نواة المكتبة وحسب، ولكنه مؤسس المكتبة ذاتها أيضاً على الصورة المذكورة.^(٣٧)

وحذا محمد صنع الله الابن (توفي ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) هذا حذو والده فوقف بدوره كتبه البالغ عددها حوالي ٢٦٠ مخطوطاً على نفسه والذكور من ذريته، على أن تؤول للعلماء بالصخرة المشرفة إذا انقرض عقبه. واشترط كذلك على الناظر الشروط عينها وبحروفها التي اشترطها والده بيد أنه اختصر فترة الإعارة بحيث "لا تزيد على ثلاثة أيام"، ولكنه لم يطالب بأي رهن بالمقابل، والطريف في وقف محمد صنع الله الابن أن زوجه شاركته فيه، إذ يرد في مستهل حجة وقفه أنه "وقع الإلهام الإلهي في نفس كل واحد من عمدة العلماء العظام الحاج محمد صنع الله ابن المرحوم صاحب الخيرات الشيخ محمد صنع الله الخالدي الديري العبسي، وفخر المخدرات السيدة طرفنده خاتون بنت عمدة العلماء الفخام الشيخ نجم الدين أفندي الخيري المفتي بالقدس سابقاً، وأن الحاج محمد صنع الله والسيد عبد الله الموقت وكيل السيدة طرفنده حضرا لمجلس الشرع وأشهدا على أنفسهما أصالة ووكالة أنهما وقفا ثلاثة أرباع الكتب الآتي ذكرها للحاج محمد وربع ذلك للسيدة طرفنده، وحررت حجة الوقف هذا بتاريخ ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م.^(٣٨)

وتمر السنون ويتوارث الأولاد والحفدة كتب محمد صنع الله الكبير وابنه ويتشتت بعضها ويضاف إليها بعض آخر، وتتوزع في بيوت العائلة، فيثير وضعها اهتمام روجي بن ياسين الذي يقرر أن يجمعها ويضم بعضها إلى البعض الآخر في مكان واحد (انظر الشجرتين ٣ و ٤)، وهو ما فعل خلال العامين ١٨٨٥ - ١٨٨٦م. ويخبرنا الحاج راغب بن نعمان^(٣٩) أن روجي "هم بتأسيس مكتبة عمومية بالقدس الشريف، وأودع هذه الروح الشريفة في أفراد عائلته، ولكن في ذاك الوقت لم تساعد الأقدار لانشغاله في دار

السعادة (أي استانبول) لتحصيل العلوم، ولكن أبقي تلك الروح تنمو في عروق بني مخزوم حتى أراد الله تعالى ويسر"، وهكذا يكون روعي صاحب فكرة مكتبة عمومية بالمعنى الحديث وقد تلقف هذه الفكرة عنه الحاج راغب نفسه في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي.

ويتابع الحاج راغب روايته عن تأسيس المكتبة فيقول "إن جميع المحل المتهدم الملاصق إلى تربة الأمير حسام الدين بركة خان وأولاده من أمراء المصريين هو تحت تصرف والدي الشيخ نعمان أفندي الخالدي الأزهري، وبعد وفاته بقيت على ما كانت عليه، ومنذ سنتين (أي العام ١٨٩٨م) كانت توفيت والدتي المرحومة السيدة خديجة خانم بنت السيد موسى أفندي الخالدي، القاضي عسكر سابقاً، فأوصت قبل وفاتها من مالها بمبلغ لعمارة تلك الخرابة وضمها إلى التربة وجعلها مكتبة". وهكذا تكون السيدة خديجة السيدة الثانية التي أسهمت في تأسيس المكتبة بعد السيدة طرفنده السالفة الذكر. ولا ندري إذا كانت قد أخذت الفكرة مباشرة من روعي بن ياسين أو عملت بوعي من ولدها الحاج راغب، المهم أنه بعد توافر المال للحاج راغب لعمارة المكتبة أسرع إلى استشارة بقية السلف الصالح كبير العائلة الخالدية: الحاج محمد ياسين وطلب معونته مادياً وأدبياً على بنه لنا ولده المقدم روعي أفندي من تأسيس مكتبة عمومية. فشد أزرنا وأمدنا من إحساناته وإشاراته، فأسرعت لبنائها وعملت ما يلزم لها من الخزان".

وبعد أن تم ترميم مبنى المكتبة وتجهيزها أخذ الحاج راغب يودع فيها ما كان روعي قد جمعه من المخطوطات المتوارثة، ويضم إليها مما لديه ولدى سائر أفراد العائلة، أما الإضافات إلى ما جمعه روعي، فكانت بحسب رواية الحاج راغب "بعضها هبة من جانب أصحاب الفضيلة والمعزة سر كاتب الحكمة الشرعية السيد موسى شفيق الخالدي، وابني أخيه السيد عثمان نوري أفندي، والسيد صنع الله أفندي ما ينوف على ٤٠٠ مؤلف، فجزاهم الله خيراً". وصنع الله المذكور هنا هو طبعاً غير صنع الله الابن السالف الذكر (انظر الشجرة ٣)، وأضاف الحاج راغب إلى ما جمعه بهذه الوسيلة ما ينوف على ٢٠٠ مؤلف من مكتبته الخاصة، فبلغ مجموع ما أودعه في المكتبة عند تأسيسها بحسب قوله "ما ينوف على الألف وثلاثمائة مؤلف منها ما يزيد على السبعماية كتاب خطية والباقي طبع".

ويشرح لنا الحاج راغب تحمسه هو لتأسيس المكتبة بقوله: "إن العرب لما دخلت عليهم الحضارة والمدنية أسسوا المكتبات والمدارس وتبعهم الإفرنج واقتفوا أثرهم... وما زالوا (أي الإفرنج) تاركين التقاليد والأفكار المبنية على الظن والتخمين نابذوها ظهرياً، وأكثروا اعتمادهم على اليقينيّات والمجربات... فنتج عن ذلك ما هم عليه من الثروة واليسر والطمع بما لدى غيرهم من الأراضي المخفية والمناجم المعدنية...". ويردف ذلك بقوله إنه استخار الله في تسمية المكتبة الخالدية نسبة لسيدنا خالد بن الوليد، وتذكراً لاسمه وأنه "مهماً امتطينا قطارات الآمال لنباري ما لدينا من المؤسسات الأجنبية في هذه الديار لحاب العمل، ولكن قد قيل ما فات كله لا يترك بعضه [جله] وأملنا قوي بالفوز"^(٤٠). وافتتحت المكتبة رسمياً العام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م في موقعها في طريق باب السلسلة

المطل على البراق، وهو الطريق المؤدي إلى أحد أبواب الحرم الشريف الرئيسية. وتم الاتفاق بين أفراد العائلة على أنه متى توفي أحد من الأسرة تنقل كتبه إلى المكتبة،^(٤٦) وأن يكون لها ناظر متفرغ، وأن تكون مفتوحة الأبواب لمن يرغب المطالعة من أي فرد كان على أن لا يخرج منها كتاب.^(٤٧) ووقف الحاج راغب نصف ريع حمام العين بالقدس من حصته تأميناً لدخل ثابت يكفل صيانة المكتبة وإشراف الناظر عليها.^(٤٨)

وحدث بعيد افتتاحها أن أقبل إلى القدس العلامة الشيخ طاهر الجزائري ناظر المكتبة العمومية الدمشقية منفياً من دمشق بأمر من السلطنة العثمانية، وكان الشيخ طاهر "صديقاً حميماً" للحاج راغب.^(٤٩) فطلب منه الحاج راغب أن يساعده في تصنيف موجودات المكتبة وتبويبها، فاقترح عليه الشيخ طاهر دعوة أبي الخير محمد محمود الحبال صاحب جريدة "ثمرات الفنون" البيروتية، الذي يصف نفسه "بالدمشقي محتداً والبريوتي منشأ ومولداً"،^(٥٠) وذلك للقيام بمهمة وضع برنامج (أي فهرس) للمكتبة، ودعي الحبال وقام بمهمته وطبع الفهرس بالقدس في السنة ذاتها (١٣١٨هـ / ١٩٠٠م) بعنوان "برنامج المكتبة الخالدية العمومية". ويقول الحبال في مقدمته للفهرس إنه طلب إليه "ترتيب هذه الكتب وإفراد كل فن منها على حدة، وكتابة أسمائها على ظهورها مع وضع نمرة لها... وقد أتمنا هذا الأمر في وقت قصير مع كثرة أشغالنا المهمة، ولهذا وقع فيه بعض أغلاط في الطبع وهي طفيفة لا تخفى على فطن، فمن رأى فيه (أي البرنامج) سبق قلم أو زلة قدم أن يسبل ذيل الستر حلماً وكرماً".^(٥١)

ويبلغ مجمل عدد الكتب الوارد ذكرها في برنامج الحبال ١١٥٦ كتاباً (أي مجلداً)،^(٥٢) منها حوالي ٦٨٥ مخطوطاً والباقي مطبوع، يضاف إليها ٢٤ كتاباً خطياً جمعها الشيخ طاهر الجزائري من الدشت وأثبتها الحبال في مؤخره البرنامج.^(٥٣) ويضيف الحبال في ذيل البرنامج أنه "يوجد في المكتبة غيرها كثير (أي غير الكتب التي ذكرها) وضعناها على حدة وضررنا عن ذكرها صفحاً، إما لأنها مكررة، أو لكثرة وجودها بين الأيدي، أو لفقدان بعضها وضيق الوقت عن جمعها وتكميلها وسنتبها إن شاء الله في الطبعة الثانية.^(٥٤) وأغلب الظن أن معظم الكتب التي أهملها الحبال كانت مطبوعة، فإذا صح ذلك يكون عدد الكتب في المكتبة عند إنهاء الحبال لبرنامجها مطابقاً لعدد الكتب التي ذكر الحاج راغب أنه جمعها. ويروي الحبال^(٥٥) أن الشيخ طاهر الجزائري قرظ المكتبة بقوله:

أقول وقد عاينت كتباً نفيسة تروق ذوي الألباب وهي منى النفس
أيا طالباً أقصى المعارف راغباً لنيل العلا بادر لمكتبة القدس

المكتبة من ١٩٠٠ إلى ١٩٦٧م

مرت المكتبة خلال هذه الفترة في ثلاثة أطوار رئيسة امتد الأول من تأسيسها إلى نهاية العهد العثماني، والثاني من الاحتلال البريطاني ١٩١٧م إلى نهاية الانتداب وحدوث النكبة العام ١٩٤٨م، والثالث من النكبة إلى سقوط القدس بكاملها بيد إسرائيل العام ١٩٦٧م.

الطور الأول: من ١٩٠٠ إلى ١٩١٧م

تميزت المكتبة في هذا الطور بنموها المطرد، وكان من أهم أسباب هذا النمو أن أضيفت إليها خزائن من توفي من أفراد الأسرة. ذلك أن الأسرة خلال أقل من عقدين من السنين منيت بوفاة كل من ياسين بن محمد علي (١٩٠١م)، وأخيه يوسف ضياء الدين باشا (١٩٠٦م)، وابن عمومته أحمد بدوي (١٩١٢م)، وابنه روجي (١٩١٣م)، وابن أخيه نظيف بن عبد الرحمن (١٩١٦م). فانتقلت كتبهم جميعاً إلى المكتبة حسب ما اتفق عليه،^(٥١) وحدث بعد إعداد برنامجها وطبعه أن الشيخ طاهر الجزائري وأبا الخير محمد الحبال عاد كلاهما إلى بلده، أشرف على المكتبة طوال هذه الفترة الحاج راغب الخالدي يعاونه الشيخ خليل بن بدر الخالدي السالف الذكر، كما تعين الشيخ محمد أمين الدنف الأنصاري المقدسي قيماً متفرغاً عليها. وزار المكتبة في هذه الأثناء عدد من العلماء العرب والمستشرقين، وكان أهم الزوار المستشرق البريطاني مرغوليوث.^(٥٢) ويروي العلامة الفلسطيني عبد الله مخلص عضو المجمع العلمي العربي بدمشق أنه (أي مخلص) زارها العام ١٩١٧م، وأن القيم الشيخ الأنصاري أخبره أن عدد الكتب فيها حينذاك "زهاء أربعة آلاف مجلد". فرأى فيها نفائس المطبوعات ونوادير المخطوطات، وكتب بحثاً يصف حوالي خمسين مخطوطاً منها. وذكر مخلص أن عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع كان قد ذكر المكتبة قبله في مقالته "القدس وتواريخها العربية" المنشورة في مجلة "المقتبس"، كما فعل أيضاً حبيب أفندي الزيات في كتابه "خزائن الكتب في دمشق وضواحيها" المطبوع في القاهرة سنة ١٩٠٢م.^(٥٣)

الطور الثاني: من ١٩١٧ إلى ١٩٤٨م

كانت هذه فترة استقرار أكثر مما هي فترة نمو في الموجودات، إلا أنه حصلت بعض الإضافات المتأتية عما تبقى من كتب المتوفين في الفترة السابقة، وعن طريق هبات من أفراد الأسرة الأحياء ومن زوارها من العلماء العرب والمستشرقين. وكذلك عن طريق النسخ والاستنساخ على يد الشيخ الأنصاري آخر وراقي بيت المقدس. ولم يساعد ريع أوقاف المكتبة المتواضع على تنمية موجوداتها بشكل ملحوظ، بيد أن صيت المكتبة أخذ في الازدياد فزارها من كبار المستشرقين خلال هذه الفترة الإفرنسي ماسينيون، والألماني كاله، واليهودي غويتين، والبريطاني جيب^(٥٤) وغيرهم كثيرون. كما زارها العديد من الباحثين والعلماء العرب والمسلمين، ودون الزائرون ملحوظاتهم عليها في سجل خاص تحتفظ المكتبة به إلى يومنا هذا.

وتعرض لذكرها محمد كرد علي الدمشقي في خطط الشام العام ١٩٢٨م، واللبناني فيليب دي طرازي في خزائن الكتب العربية في الخافقين العام ١٩٣٦م، والبحاث الدمشقي الحلبي الأصل الدكتور محمد أسعد طلس^(٥٥) الذي وصفها "بأعظم دور كتب القدس" ونشر العام ١٩٤٥م بحثاً عن نيف ومائة وعشر مخطوطات من نفائس مخطوطاتها.^(٥٦) واستمر الحاج راغب الخالدي يساعده الشيخ خليل الخالدي في الإشراف على المكتبة

حتى أوائل الأربعينيات يعاونهما الشيخ أمين الأنصاري. على أن الشيخ خليل توفي العام ١٩٤١م، وأخذ الوالد المربي والمؤرخ أحمد سامح بن راغب مدير الكلية العربية بالقدس مهمة الإشراف عن والده لكبر سنه. واستمر أحمد سامح في الإشراف على المكتبة بمعونة الشيخ الأنصاري والباحثة أسطفان حنا أسطفان^(٥٧) حتى النكبة، حين اضطر إلى هجرة منزله والكلية العربية في أيار/ مايو ١٩٤٨م، لوقوعهما على خط النار واللجوء إلى لبنان، حيث توفي العام ١٩٥١م عن ٥٤ عاماً، بعد أن أسس مدرسة للاجئين الفلسطينيين في قرية الحنية من أعمال صور على حدود فلسطين الشمالية.

ولقد قيل عن المكتبة في هذه الفترة أنه زاد عدد كتبها خلالها من ٤٠٠٠ كتاب العام ١٩١٧م إلى ١٢٠٠٠ كتاب العام ١٩٤٥م، وأن جرودة كتب المكتبة التي أجريت بعيد حرب ١٩٦٧م (التي سنذكرها لاحقاً)، أظهرت بأن عدد الكتب التي تحتويها لم يتعد الـ ٦٠٠٠ كتاب، ويعلق المؤرخ المقدسي الدكتور كامل العسلي على ذلك بقوله: "إذا افترضنا أن هذه الأرقام كلها صحيحة أو قريبة من الصحة لتبين لنا أن مجموعة المكتبة قد نقصت في الثلاثين سنة الماضية ٥٠٪، وهو رقم مخيف،^(٥٨) وطبعاً لو صحّت الأرقام وصح النقص لكان ذلك مخيفاً حقاً. بيد أن هذه الأرقام غير صحيحة ولا تستند إطلاقاً إلى أي أساس يوثق به، على الرغم من تكرارها في أكثر من مرجع.^(٥٩) ونحن على يقين تام بأن الزيادة التي حصلت على كتب المكتبة خلال الانتداب البريطاني لم تصل، ولم يكن بوسعها أن تصل إلى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه العام ١٩١٧م، وأنها في واقع الأمر لم تتعد الثلث على أبعد تقدير، أي بزيادة حوالي ٢٠٠٠ كتاب من الموارد التي ذكرناها سالفاً، وذلك للأسباب التالية الثلاثة:

أولاً: لم يشكل إيراد المكتبة من الأوقاف في أي يوم من الأيام مصدراً للإنفاق على مقتنيات جديدة لها، بسبب تواضعه وإنفاقه على صيانة المكتبة. ولم تطرأ أية زيادة على هذا الإيراد خلال هذه الفترة، بل بالعكس أخذ في التناقص بسبب ارتفاع غلاء المعيشة المتزايد.

ثانياً: كان مصدر نمو المكتبة الأساسي خزائن المتوفين من أفراد الأسرة من هواة اقتناء الكتب، ولسنا نعلم عن أي فرد من هؤلاء توفي خلال السنوات ١٩١٧ - ١٩٤٨م، سوى الشيخ خليل بن بدر بن مصطفى الذي انتقل إلى رحمته تعالى العام ١٩٤١م. بيد أن ظروفًا عائلية تتعلق بتسوية تركته حالت دون نقل كتبه النفيسة إلى الخالدية، فظلت في صناديق إلى أن نقلت العام ١٩٧٧م^(٦٠) بطلب من ورثته إلى مكتبة المسجد الأقصى، لاعتبار هذه الأخيرة حينذاك أكثر أماناً من الخالدية ذاتها في ظروف ما بعد حرب ١٩٦٧م. ومع ذلك، فإن ما بقي من كتب الشيخ خليل التي نقلت إلى المسجد الأقصى، على أهميتها، لم تزد على حوالي ٨٦٠ كتاباً^(٦١) بين مخطوط ومطبوع.

ثالثاً: أن حجم قاعة المكتبة وسعة خزائنها وطول رفوفها لم تكن لتسمح أصلاً باستيعاب عدد من الكتب يزيد على العدد الذي بينته الجرودة بعيد حرب ١٩٦٧، والذي أشار إليه العسلي، إذ إن هذه الكتب التي كانت في حدود ٦٠٠٠ كتاب، ملأت جدران المكتبة وخزائنها على جوانبها كافة من الأسفل إلى الأعلى.

الطور الثالث: من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧م

لم تصب المكتبة إصابة مادية مباشرة خلال القتال في القدس العام ١٩٤٨م، ولكنها طبعاً تأثرت بذيول النكبة شأنها في ذلك شأن سائر المعاهد العربية في القدس وخارجها، وكان من نتائج النكبة تشتت العديد من أفراد الأسرة مع من تشتت من الآلاف من أهالي القدس ومئات الآلاف من سكان فلسطين، وظل الشيخ الأنصاري في موقعه قيماً على المكتبة يقيم في منزل من منازل الأوقاف العائلية، خصص له بجوارها ويستقبل الزائرين فيها بناء على موعد سابق، إلى أن توفاه الله في أوائل الخمسينيات وتسلم ابنه منه مفتاحها.^(١٦)

وأشرف على المكتبة ممثلاً للعائلة خلال هذه الفترة الدكتور حسين فخري بن الحاج راغب الخالدي إلى أن توفي العام ١٩٦٢م، وكان الدكتور حسين آخر رئيس عربي منتخب لبلدية القدس بكاملها (١٩٣٥ - ١٩٣٨م)، ثم زعيم حزب الإصلاح وعضو اللجنة العربية العليا وأمين سر خليفتها الهيئة العربية العليا، وتولى بعد النكبة منصب حارس الأماكن المقدسة بالقدس من قبل الحكومة الأردنية، ثم أصبح وزيراً لخارجيتها ورئيساً لوزرائها.^(١٧) وتسلم المهندس عادل بن حسين فخري الخالدي بعد وفاة أبيه مهمة الإشراف على المكتبة، واستمر في ذلك إلى أن وقعت حرب ١٩٦٧م عندما تعذر عليه دخول القدس، وتولى المهندس عادل منصب وكيل وزارة الخارجية الأردنية، وأوفد سفيراً إلى إسبانيا. واتسم وضع المكتبة في هذه الفترة بالركود نظراً للأوضاع العامة، ولكنه تم الحفاظ عليها بفضل الدكتور حسين فخري وابنه المهندس عادل ومعونة الأنصاري الابن.

وتوفي خلال هذه الفترة من ذوي الخزانة الكبرى من أفراد العائلة والذي أحمد سامح بيروت العام ١٩٥١م، وجدي راغب بنابلس العام ١٩٥٢م رحمهما الله. وظلت مكتبة أحمد سامح بيروت، حيث نقلها بعد مغادرته القدس وتوزعها أولاده. أما مكتبة الحاج راغب في منزله بضاحية تل الريش من أعمال يافا، حيث كان يقيم بعد تقاعده، فقد استولت عليها القوات الإسرائيلية عندما احتلت المنزل في أيار/ مايو ١٩٤٨م، وضاعت معظم الكتب التي كان يملكها سائر أفراد الأسرة المقيمين بالقدس عندما احتلت القوات الإسرائيلية في نيسان/ أبريل وأيار/ مايو ١٩٤٨م منازلهم في أحياء القدس العربية الغربية، حيث كانوا يقطنون، وهو ما حصل أيضاً خلال العام ١٩٤٨م لكتب الآلاف من العرب بالقدس وخارجها من أهل فلسطين.

المكتبة منذ ١٩٦٧م

مرت المكتبة منذ ١٩٦٧م في ثلاثة أطوار:

الأول: من ١٩٦٧ إلى ١٩٨٢م، وفيه جابهت المكتبة محاولات إسرائيلية متكررة لمصادرتها أو الاستيلاء عليها.

الثاني: من ١٩٨٢ إلى ١٩٩٠م، وفيه خاضت الخالدية معارك قضائية في المحاكم الإسرائيلية دفاعاً عن حقوقها ووجودها.

الثالث: من ١٩٩٠ إلى يومنا الحاضر، وقد شهد بروز جمعية أصدقاء المكتبة وتبنيها لبرامج طموحة للحفاظ عليها وتنميتها.

الطور الأول: من ١٩٦٧ إلى ١٩٨٢م

كان هذا أقسى الأطوار وأخطرها، ذلك أن إسرائيل فور احتلالها للقدس الشرقية أخذت في مصادرة الأحياء الإسلامية الواقعة في الجنوب الشرقي من البلدة القديمة مقابل حائط البراق الذي يعتبره اليهود حائط مبكاهم. وكان طريق باب السلسلة، حيث تقع المكتبة على جانبه القبلي يحد هذه الأحياء المصادرة من الشمال، وشرعت إسرائيل لتوها في هدم وجرف أحد هذه الأحياء بكامله وطرد سكانه منه وهو حي المغاربة، وهو الأقرب إلى كل من الخالدية وحائط البراق، وكان الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي قد وقف بعضه لجهة البر سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م ووقف معظمه لاحقاً سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م على الحجاج المغاربة المجاورين للمسجد الأقصى أحد حفدة أبي مدين شعيب بن الحسين المغربي، الغوث، القطب التلمساني، (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م)، وكانت زاوية أبي مدين التي أزيلت مع الحي تقع على بعد أمتار من الخالدية.^(١٤)

وكانت معظم منازل الأحياء المصادرة تابعة لأوقاف العوائل المقدسية الإسلامية العدة، وكانت "حصّة" آل الخالدي من الخسارة الجماعية ما ينيف عن ٤٠ عقاراً من منازل وشقق ودكاكين استولت إسرائيل عليها، بما في ذلك منزل القاضي موسى بن محمد خليل بن صنع الله الكبير والد السيدة طرفنده خاتون الذي سبق ذكره وذكرها.^(١٥) وشمل قرار المصادرة مبنى المكتبة ذاته واحتل الجنود الإسرائيليون الطابق العلوي الشرقي المطل على ساحتها والتابع لأوقاف العائلة أيضاً، وألصق على بابها بيان المصادرة باعتبارها من أملاك الغائبين. ولم يكن متولي الأوقاف العائلية المهندس عادل بن حسين فخري حينذاك في القدس، فقام مقامه حيدر بن كامل بن عبد الرحمن بن محمد علي الخالدي، وكامل هذا هو أخو نظيف السالف الذكر، وتمكن حيدر بمفرده وبما من الله عليه من قوة الإيمان والعزيمة وبما لديه من وثائق، من التصدي لقرار المصادرة وإثبات بطلان الادعاء بكون المكتبة من أملاك الغائبين؛ فأنقذ بذلك المكتبة من ضياع محتوم.

وما لبث حيدر أن ألفت لجنة محلية لتعيينه على حماية المكتبة، وكانت اللجنة مؤلفة منه ومن ابن عمه حازم وابنه (أي ابن حيدر) كامل وابنته الأنسة هيفاء وصديق العائلة عبد الله العكاوي المقدسي.^(١٦) وكان أول عمل تولته اللجنة هو القيام بجرد محتويات المكتبة من مخطوطات ومطبوعات. وانتهى هذا الجرد العام ١٩٦٨م، وتبين أن موجودات المكتبة مؤلفة من ١٢٩٣ مخطوطاً و ٤٧٠٤ كتب مطبوعة، أي ما مجموعه ٥٩٩٧ مجلداً، وأن عدد المطبوع بالعربية هو ٣١٣٥ مجلداً وباللغات الأجنبية ١٥٦٩ مجلداً. وهذه هو الجرد الذي اعتمد عليه الدكتور كامل العسلي في تقديراته الخاطئة في نظرنا كما أسلفنا.^(١٧) ولم تنته المحاولات الإسرائيلية للاستيلاء على المكتبة بالطعن المرفق في الادعاء بكونها من أملاك الغائبين. فمنذ أواخر السبعينات أخذ مدنيون من اليهود يحلون تدريجياً مكان

الجنود الإسرائيليين المحتلين للطابق العلوي الشرقي المشرف على ساحة المكتبة. وتبين بعد قليل أن هؤلاء هم طليعة تلاميذ مدرسة تلمودية (ياشيفا بالعبرية) تابعة لحركة دينية من غلاة الغلاة على رأسها كبير حاخامي الجيش الإسرائيلي سابقا الحاخام غورين. وما هي إلا بضعة أشهر حتى بوشر في أعمال بناء محمولة أخذت بتشديد طابق ثالث فوق الطابق العلوي الشرقي المحتل، ثم بالالتفاف من حول ساحة المكتبة من الناحية القبليّة وبناء جناح ثانٍ للمدرسة التلمودية أخذ يعلو شيئاً فشيئاً فوق حائط الساحة من هذه الناحية، وإذا بناؤنا فتفتح فيه تطل على الساحة، وبشمعدان ضخّم ذي سبعة أعمدة يرتفع فجأة على سطح هذا الجناح وعلى رأس كل من الأعمدة مشعل كهربائي كبير أخبرنا العاملون أن إضاءتها مقابل حائط البراق إنما ترمز إلى برنامج حركة الحاخام الدينيّة وطموحها لإعادة بناء الهيكل في ساحة الحرم الشريف. ورافق حركة البناء هذه قذف متراكم على ساحة المكتبة للردم الناتج عن البناء وقاذوراته، وكانت الساحة تضم قبور ثلاثة من أمراء الخوارزميين الذين وفدوا إلى المشرق للمشاركة في قتال الإفرنج، وكانت وفاتهم بين العام ٦٤٤ و٦٧٨ هـ/ ١٢٤٦ و١٢٧٩ م.^(١٨)

الطور الثاني ١٩٨٢ - ١٩٩٠ م

لم يعد في أوائل الثمانينيات أي مجال للشك في أن الحاخام غورين عقد النية على الاستيلاء على المكتبة بهذه الأساليب، بعد إخفاق المصادرة، وأن جل ما يقف دون ذلك هو حيدر وأعضاء لجنته المعدومي الإمكانات بسبب ما حل بأوقاف العائلة من خسائر جسيمة. فتم الاتصال بكاتب هذه المقدمة وليد بن أحمد سامح بن الحاج راغب، واتفق على إنشاء صندوق خاص لجمع التبرعات وعلى خطة عمل ينفق عليها من أموال الصندوق. وتضمنت خطة العمل التحرك على خطين متوازيين: أولهما: اللجوء إلى المحاكم المحلية في محاولة لإيقاف الحاخام عند حده إن أمكن، والثاني: مباشرة العمل على ترميم المكتبة ومحتوياتها إثباتاً للوجود واستباقاً لمشروعات الحاخام. وتألّفت لجنة عائلية مصغرة لهذا الغرض ضمت كلا من حيدر بن كامل من الداخل، ووليد بن أحمد سامح، والمهندس منذر بن ثابت بن نظيف، والدكتور رشيد بن إسماعيل بن الحاج راغب من المقيمين في الشتات.

وتلقى الصندوق الخاص تبرعات جاءت على التوالي من الحاجة فاطمة بنت الحاج راغب عن طريق ابنها هاني بن محمد سلام البيروتي، ومن منذر وأخيه الأكبر نظيف الخالدي، ومن الصديق الحسن ورجل الأعمال الفلسطيني حسيب الصباغ، ومن سمو الأمير الحسن بن طلال، ومن موسى شفيق بن جميل بن موسى شفيق الخالدي، وموسى شفيق الجد هذا كان من مؤسسي المكتبة أواخر القرن الماضي كما أسلفنا. وتنفيذاً للخطة المتفق عليها قدمت الشكوى ضد الحاخام بشأن إلقاءه الردم على الساحة وفتحة النوافذ في الحائط القبلي. وبعد طور تدبّر وتداول من قبل المحكمة وزيارة أعضاء المجلس البلدي الإسرائيلي بأسره بمن فيهم رئيس البلدية والقاضية رئيسة المحكمة بنفسها لموقع المكتبة

لم يسع المحكمة إلا أن تحكم في صالح المكتبة، وتأمّر بسد النوافذ وإزالة الردم والإفلاج عن إلقائه مجدداً.

بيد أنه عندما حاولت اللجنة العائلية تنفيذ خطة الترميم لأبنية المكتبة اعترض الحاخام ومؤسسات استيطانية بتحريض منة على ذلك، تارة بحجة أن الترميم يهدد سلامة الطوابق التي بناها الحاخام، وتارة بحجة أن المكتبة في حال فتحها تشكل خطراً أمنياً على مدرسته التلمودية، وتارة بحجة أحقية المدرسة التلمودية في تملك المكتبة!! وطالت المقاضاة سنوات عدة في كُرٍّ وقرٍّ دائمين. ولكن النتيجة كانت أن المحكمة لم يسعها أخيراً إلا أن تحكم ثانية لصالح المكتبة، وتدحض ادعاءات الحاخام وحلفائه. وما إن انتهت المعركة مع الحاخام حتى بدأت المعركة مع البلدية ذاتها ولجانها المتخصصة العديدة للحصول على الإذن بالبدء بأعمال الترميم. وماطلت البلدية ولجانها ما استطاعت ولسنوات عدة، بذرائع وأسباب مختلفة بعضها جمالي الإدعاء وبعضها فني وبيروقراطي مختلق قبل منح الإذن أخيراً، بحيث لم يتسن البدء في أعمال ترميم أبنية المكتبة إلا في أواخر الثمانينيات.

وفي هذه الأثناء تقدم حيدر في السن وضعف بصره واضطر ابنه كامل إلى الانتقال إلى عمان لممارسة عمله هناك، وفي العام ١٩٨٠ توفي حازم الخالدي ساعد حيدر الأيمن، ذلك أن حازم رحمه الله كان صلب العود انضم ضابطاً إلى الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية بنصيحة والدي أحمد سامح وبحضوري، وارتقى في الرتب حتى وصل إلى رتبة العميد (الميجور) بنهاية الحرب، وكلف من قبل الجامعة العربية خلال حرب ١٩٤٨م برئاسة مدرسة حربية في سوريا لتدريب الضباط الفلسطينيين، وهي المدرسة التي تخرج منها العديد من ضباط جيش التحرير الفلسطيني فيما بعد. وبوفاة حازم لم يبق من أفراد العائلة القادرين بالقدس لمساعدة حيدر سوى ابنته الأنسة هيفاء. وقامت هيفاء ولا تزال تقوم بالواجب خير قيام، وحافظت بذلك على تقليد سيدات العائلة بالإسهام في رعاية المكتبة.

ولم تكن مهمة هيفاء سهلة، ذلك أنه تخللت سني المقاضاة والسعي للحصول من البلدية على إذن بالترميم مضايقات من المستوطنين المسلحين اليهود بتحريض من الحاخام غورين ومن غيره، واتخذت هذه المضايقات مرات عديدة شكل زيارات في أواخر الليل وأوائل الفجر لمنزل حيدر المجاور للمكتبة، يطرق خلالها الباب بأعقاب البنادق ويعلو فيها صوت التهديد والشتم، حتى إنه في إحدى هذه الزيارات رافق أفراد من الشرطة الإسرائيلية المستوطنين وأصروا على استلام مفتاح المكتبة ثم أعادوه بعد مرور عدة أيام. وكانت هيفاء هي التي تتصدى لهذه الزيارات والمناورات وتتلقاها نيابة عن أبيها المريض المسن بشجاعة ورباطة جأش اشتهرت بهما.

ولا بد في هذا الصدد من أن نذكر أن المكتبة تلقت عوناً في محنتها مع الحاخام غورين ومع بلدية القدس من عالمين إسرائيليين فاضلين، هما الدكتور أمنون كوهين والدكتور داني باهات اللذان أسهما في إقناع المحكمة ولجان البلدية بما أدليا به من معلومات وشهادات

بصحة موقف القائمين على المكتبة، فاستحقا منا كل شكر وتقدير. كما ساعدت في هذا الاتجاه أيضاً الاتصالات التي قامت بها اللجنة العائلية مع وزارة الخارجية الأمريكية وقنصل أمريكا العام بالقدس، وتقرر خلال هذه الفترة تسمية اللجنة العائلية بـ "جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية" وإضافة أعضاء آخرين إليها من العائلة ومن خارجها، ودعمها بمجلس استشاري أكاديمي رفيع المستوى مؤلف من كبار المستشرقين المتعاطفين في الجامعات الأوروبية والأمريكية.

وتقرر خلال هذه الفترة، أيضاً، عدم انتظار نتيجة المقاضاة في المحاكم، أو صدور إذن من البلدية بالبدء في الترميم، والمضي في عمليتين لا تحتاجان إلى موافقة السلطات الإسرائيلية، وهما دراسة إعداد فهرس عصري لمخطوطات المكتبة، ومباشرة ترميم المخطوطات وصيانتها وفق أحدث الأساليب العلمية. وهكذا تم الاتفاق العام ١٩٨٥م مع المستشرق الأمريكي الدكتور لورنس كونراد لدراسة مشروع الفهرس، ومع توني بيش الخبير البريطاني في ترميم المخطوطات العام ١٩٨٦م، وأنفقت "جمعية أصدقاء المكتبة" من صندوقها على زيارات سنوية للمكتبة قام بها كل من كونراد وبيش خلال الأعوام ١٩٨٥ - ١٩٩٢م، وكانا يكثران في القدس فترات تتراوح كل منها بين الأسبوعين والشهر الواحد، وكان في بعض الأحيان يرافقهما بعض المساعدين.

وتمكن كونراد خلال هذه الزيارات من تكوين نظرة إجمالية عن عدد لا بأس به من المخطوطات، وبوضع قائمة أولية Shelf List بها.^(١٤) ثم إنه أثناء التمهيد لأعمال الترميم اكتشف العام ١٩٨٧ تحت السقف القرميدي للمكتبة مجموعة ضخمة من الأوراق من مختلف الأحجام ينوف عددها على ١٠٠٠٠ ورقة هي خليط من الدشت والأوراق الشخصية والوثائق الرسمية وصفحات المخطوطات المبعثرة، فقام كونراد بتصنيفها وجمعها، وعثر من خلال ذلك على مخطوطات قيّمة كاملة وأجزاء مكملتها لغيرها.^(١٥) أما توني بيش فقد أشرف على تبخير مجموعة المخطوطات بكاملها، وعلى فتح وتنظيف كل مخطوطة منها على حدة ووضعها في صندوق خاص مادته عازلة تصون المخطوطة عن الرطوبة والحموضة.^(١٦)

وفي العام ١٩٨٩م، تم تشكيل مجلس أمناء جمعية أصدقاء المكتبة من وليد أحمد سامح الخالدي، وكامل حيدر الخالدي، ومنذر بن ثابت الخالدي، والدكتور رشيد إسماعيل الخالدي، والدكتور بنيامين بروان الأمريكي، والسيدة بربارا إك الأمريكية أيضاً، وسجلت كمؤسسة معفاة من الضرائب بموجب قوانين ولاية مساتشوستس في الولايات المتحدة، وانضمت إليها في وقت لاحق سمو الأميرة غيدا طلال حفيدة الحاجة فاطمة بن الحاج راغب الخالدي. وفي الوقت نفسه، تألف مجلس استشاري أكاديمي دولي لمجلس الأمناء أعضاؤه الآن هم: السفير المستشرق الدكتور نيكولاس بيخمان (سفير هولندا لدى الحلف الأطلسي)، والدكتور نظمي الجعبة (الأستاذ في جامعة بيرزيت في فلسطين)، والدكتور رشيد إسماعيل الخالدي (الأستاذ في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة)، والدكتور طريف أحمد سامح الخالدي (الأستاذ في جامعة كامبريدج في بريطانيا)،

والدكتور فرد دونر (الأستاذ في جامعة شيكاغو)، والدكتور غيرنوت روتر (الأستاذ في جامعة هامبورغ في ألمانيا)، والدكتور أندريه ريموند (الأستاذ في جامعة أيكس أو بروفنس في فرنسا)، والدكتور جوزيف فان ايس (الأستاذ في جامعة توينغن في ألمانيا)، والأب توماس ميشيل (من الفاتيكان).

وفي صيف العام ١٩٩١م، حصل الدكتور رشيد إسماعيل الخالدي على إحدى زمالات فولبرايت الأمريكية مكنته من أن يقضي عطلة الصيفية بالقدس لثلاث سنوات متعاقبة، حيث أقام في شقة للزائرين ملحقة بالمكتبة، وانكب على دراسة موجوداتها من الأوراق والوثائق العائلية. وشكلت هذه مصدراً أساسياً للكتاب المرجعي الذي وضعه بالإنجليزية عن الهوية الوطنية الفلسطينية الذي نشرته له جامعة كولومبيا بنيويورك العام ١٩٩٧م.^(٧٦)

الطور الثالث: من ١٩٩٠ إلى يومنا الحاضر

وبعد أن انتهينا من "معركتنا" مع الحاخام غورين والمؤسسات الاستيطانية ومع بلدية القدس، وضعت جمعية أصدقاء المكتبة الخطة الثلاثية الأولى للسنوات ١٩٩١ - ١٩٩٤م، وشملت هذه الخطة الأعمال التالية:

١. الترميم الكامل لمبنى المكتبة من الداخل والخارج في تربة بركة خان بطريق باب السلسلة في البلدة القديمة.
٢. تأثيثها وتجهيزها بأنظمة الحراسة والحرارة والتبريد ومكافحة الرطوبة وبما يلزمها من معدات (آلة لتصوير الميكروفيلم، وأجهزة التلفون والكمبيوتر والفاكس... الخ).
٣. الاستعاضة عن الخزائن الخشبية البالية برفوف حديدية وشراء خزائن حديدية خاصة لحفظ الوثائق.
٤. وضع فهرس علمي عصري لمخطوطاتها.
٥. فهرسة كتبها المطبوعة والأوراق والوثائق العائلية.
٦. تصوير المخطوطات على الميكروفيلم.
٧. ترميم المخطوطات ترميماً كاملاً.
٨. تجليد ما يلزم من مخطوطاتها وكتبها المطبوعة تجليداً لائقاً.
٩. ترميم شقتين مجاورتين لاستضافة الباحثين وإقامتهم أثناء زيارتهم وعملهم في المكتبة.

١٠. شراء المراجع الحديثة والأساسية بالعربية وباللغات الأجنبية.

وعقدت جمعية أصدقاء المكتبة العام ١٩٩١م باقتراح من الدكتور لورنس كونراد اتفاقاً مع حكومة مملكة هولندا قدمت بموجبه حكومة المملكة منحة لسنوات ثلاث مكنتنا من البدء بتنفيذ هذا البرنامج الطموح، وكان للدكتور نيكولاس بيخمان من كبار موظفي مديرية التعاون الدولي في وزارة الخارجية الهولندية - حينذاك - الفضل الأكبر في إقرار حكومته لهذا الاتفاق على أثر زيارة قام بها كاتب هذه المقدمة له في مكتبه في الوزارة.

وبفضل منحة المملكة الهولندية تم التعاقد على ما يلي :

- ١- تكليف الدكتور لورنس كونراد بإنجاز فهرس بالإنجليزية عن مخطوطات المكتبة كافة على أن يتم ذلك في آب / أغسطس العام ١٩٩٤ م.
 - ٢- تكليف خبير الترميم للمخطوطات توني بيش بالترميم الكامل لـ ١٢٠ مخطوطة يختارها الدكتور كونراد كخطوة أولى في سبيل الترميم الكامل لجميع المخطوطات التي تحتاج إلى مثل هذا الترميم .
 - ج- تكليف شركة ربيح المصري وكمال الأعرج الهندسية بترميم مبنى المكتبة وتجهيزها .
 - د- البدء بعمليات التصوير والتجليد وفهرسة الكتب المطبوعة .
- وفي هذه الأثناء منينا العام ١٩٩٣ م بانتقال حيدر الخالدي إلى رحمته تعالى ، ولكنه توفي قرير العين شاهداً على ثمرة جهوده وصموده راضياً مرضياً رحمه الله .
- وفي العام ١٩٩٤ م، حصلت جمعية أصدقاء المكتبة على منحة من كل من اليونسكو (عن طريق البروفسور الكونت ريموند لامير المسؤول عن ملف القدس) ، ومن الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي الذي يرأسه الدكتور عبد اللطيف الحمد ، والذي يدير دائرته الفنية الدكتور إسماعيل الزبري ، وذلك بتزكية من محافظ فلسطين في الصندوق رجل الأعمال عبد المحسن القطان .
- وفي صيف ١٩٩٤ م، انتهت شركة المصري والأعرج من أعمال ترميم مبنى المكتبة وتأثيثه وتجهيزه فكانت مناسبة لدعوة الدكتور نيكولاس بيخمان لزيارة المكتبة وتكريمه في حفلة عائلية أعرب فيها عن ارتياحه الكامل لما أنجز .
- وفي السنة ذاتها وضعت "جمعية أصدقاء المكتبة" الخطة الثلاثية الثانية للسنوات ١٩٩٥ - ١٩٩٧ م، وحظيت بفضل دعم الدكتور نيكولاس بيخمان على منحة ثانية من مملكة هولندا للإسهام في تنفيذها وشملت هذه الخطة الأعمال التالية :
- ١- إتمام تنفيذ ما لم ينجز بعد من بنود الخطة الثلاثية الأولى .
 - ٢- ترميم مبنى كبير من مباني أوقاف العائلة في الجهة المقابلة لمبنى المكتبة على طريق باب السلسلة كملحق لها يخصص لكتب المكتبة المطبوعة ، وعلى أن تبقى المخطوطات في المبنى الأول ، وعلى أن تفرد في مبنى الملحق قاعة لعرض وثائق مختارة من موجودات المكتبة ، وأخرى لعقد الندوات العلمية وإلقاء المحاضرات الخاصة بتراث القدس الإسلامي .
- ولولا معونة الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي ، ومنحة حكومة المملكة الهولندية لما كان بوسع "جمعية أصدقاء المكتبة" السير قدما في تنفيذ الخطة الثلاثية الثانية . ومما زاد في إمكاناتها لتحقيق ذلك المعونة السنوية التي التزمت بها العام ١٩٩٥ م السيدة خالدة ابنة ممدوح ابن السيدة نزهة بنت الحاج راغب الخالدي زوج المحسن ورجل الأعمال الفلسطيني السيد الصديق جميل حباس . وهكذا اقتفت السيدة خالدة أثر من سبقها من سيدات العائلة في رعاية المكتبة منذ القرن الثامن عشر الميلادي .

وفي العام ١٩٩٦م، زار المكتبة بالقدس السيد جان برونك وزير التنمية والتعاون الدولي الهولندي ولخص انطباعه عن سير العمل فيها بقوله: "هذا أفضل عمل يمكن لأي عائلة أن تقوم به". وفي العام ١٩٩٧م، كلفت "جمعية أصدقاء المكتبة" البروفيسورة كلود لاروك الأستاذة في جامعة السوربون والخبيرة في شؤون المكتبات بزيارة المكتبة وتقديم تقرير بما تحتاجه من إصلاحات بيئية، فجنت الجمعية فوائد كبرى من توصياتها.

وكانت "جمعية أصدقاء المكتبة" قد انتقلت العام ١٩٩٣م، مع الدكتور الهادي الشريفي والدكتور أهداف سويف ممثلين لمؤسسة الفرقان لخدمة التراث الإسلامي المخطوط على أن تنشر مؤسسة الفرقان بالاشتراك مع الخالدية الفهرس الذي كان الدكتور لورنس كونراد يقوم حينذاك بإعداده بالإنجليزية، الذي كان من المتعاقد عليه أن ينجز العام ١٩٩٤م كما أسلفنا، غير أن العمل في هذا المشروع تعثر لأكثر من سبب. وكان من حسن حظ "جمعية أصدقاء المكتبة" أن تعرفت في هذه الأثناء العام ١٩٩٦م على الدكتور نظمي الجعبة (خريج جامعة هايدلبرغ الألمانية في الدراسات الإسلامية، حيث أمضى ثماني سنوات دراسية والأستاذ حالياً في جامعة بيرزيت في فلسطين)، فتم الاتفاق معه على أن يقوم هو بإعداد هذا الفهرس بالعربية، وهو العمل الذي بين أيديكم اليوم.

وبعد، فقد انتهى العمل اليوم من الترميم الكامل لمبنى الملحق وتجهيزه على يد المقاول الهمام الحاج علي بركات على الرغم من الصعوبات التي اعترضت سير العمل بسبب سياسات الإغلاق الإسرائيلية المتواصلة، وأصبح جاهزاً لاستقبال كتب المكتبة المطبوعة، وخطونا خطوات واسعة في المجالات الأخرى من تصوير على الميكرو فيلم للمخطوطات، وتجليد الكتب المطبوعة وفهرستها، وترميم كامل على يد الخبير توني بيش للمائة الأولى من المخطوطات، كما أننا أضفنا إلى مجموعة المكتبة دفعة من المقتنيات الجديدة لأول مرة منذ خمسين عاماً ونيّف وعددها حوالي ٥٥٠ مرجعاً عربياً وأجنبياً جديداً، بيد أنه ما زال أمامنا الكثير من العمل الشاق، من ترميم لما بقي من المخطوطات ترميماً كاملاً وتصويرها جميعاً، وإنهاء فهرسة الكتب المطبوعة، والبدء بفهرسة الآلاف من الأوراق والوثائق العائلية وتصويرها، وتصنيف ما بقي من الدشت، وإنهاء عملية تجليد ما يحتاج إلى تجليد، ووضع قواعد لإدارة المكتبة واستقبال الزائرين، وتحديد سياسة ملائمة للمقتنيات المستقبلية، وبلورة تصور لدور المكتبة القادم في حفظ التراث الإسلامي المقدسي ولنشاطاتها المتعددة في هذا السبيل، وأخيراً لا آخر تأمين مصادر دعم ثابتة لصيانتها وإدامتها وحمايتها اتجاه ما يترصد بها من مكائد وأخطار في المستقبلين الأقرب والأكثر بعداً.

ولقد كان من حسن حظ الخالدية أنها حصلت العام ١٩٩٨م على منحة من مؤسسة فورد الأمريكية بفضل كل من السيد ستيفن لاوري المسؤول عن الشرق الأوسط في المؤسسة، والسيدة بسمة قدماني درويش نائبة للمضي في تحقيق بعض هذه الأهداف. وبعد فهذا العمل هدية زاهرة وتحية عاطرة نقدمها بخشوع إلى أرواح آبائنا وأجدادنا وأجدادنا وأجدادنا وإلى أرواح شهداء بيت المقدس وفلسطين أجمعين والله ولي التوفيق ولا غالب إلا هو.

وليد أحمد سامح الخالدي الديري
رئيس مجلس أمناء
جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية بالقدس الشريف
كامبريدج مساتشوستس
١/٧/٢٠٠٠ الموافق ٢٩ ربيع الأول ١٤٢١ هـ

(هوامش)

- ^١ ناصر الدين الأسد. محمد روجي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين، القاهرة: ١٩٧٠، ص ٢٩-٣٠.
- ^٢ انظر ابن الكلبي، جمهرة النسب، تحرير ناجي حسن، بيروت ١٩٨٦، ص ٨٨؛ حول العداء بين الزبيريين وذرية خالد بن الوليد؛ وانظر أيضاً: ابن حبيب. المنمق، تحرير خورشيد أحمد، حيدرآباد الدكن ١٩٦٤، ص ٥٢.
- ^٣ ناصر الدين الأسد، المرجع الآنف الذكر، ص ٢٦.
- ^٤ ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحرير إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨-١٩٧٢؛ الجزء ٤، ص ٥٨٤ و ٤٦١.
- ^٥ انظر المخطوط رقم: ٩٦٣ فقه ١/٧٠٠ مختصر المكاتبات البديعة فيما يكتب من أمور الشريعة.
- ^٦ أعيد طبع (البرنامج) العام ١٩٨٠ بعمان من قبل عادل حسين فخري الخالدي وراغب حسن شكري الخالدي.
- ^٧ وردت هذه السلسلة في مجموع عائلي مخطوط (ص ٥٩٩-٥٦٠) في حوزتنا يقع في ٦١٧ صفحة ثلثها فارغ. تراجم لأفراد العائلة الخالدية معظمه بخط الشيخ محمد أمين الأنصاري، وبعضه بخط يوسف ضياء الدين الخالدي، وروحي الخالدي، والشيخ خليل الخالدي.
- ^٨ هو برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (المتوفي حوالي ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) صاحب كتاب عنوان الزمان في تراجم العيون والأعيان.
- ^٩ المرجع السابق (مجموع عائلي) ص ٤٧٤؛ وانظر مثلاً السخاوي الضوء اللامع، القاهرة ١٣٥٤هـ، جزء ٨، ص ٨٨-٩٠؛ والسيوطي، نظم العقيان، تحرير فيليب حتي، نيويورك ١٩٢٧، ص ٢٦، ١١٥، ١٢٦؛ وابن حجر العسقلاني إنباء الغمر، تحرير حسن حبشي، القاهرة ١٩٧٢، جزء ٣، ص ٣٣٩.
- ^{١٠} ناصر الدين الأسد، المرجع الآنف الذكر، ص ٢٥-٢٦.
- ^{١١} المجموع العائلي المذكور في (الحاشية رقم: ٧) ص ٣٤٣.
- ^{١٢} معظم المعلومات التالية عن الديريين الخالديين مستقاة من المجموع العائلي السالف الذكر، وانظر مثلاً مجير الدين الحنبلي كتاب الأوس الجليل بتاريخ القدس والخليل، النجف الأشرف ١٩٦٨، جزء ٢، ص ٢٢١-٢٢٢، ٢٢٣-٢٢٤، ٢٢٧-٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١-٢٣٢، ٢٣٨؛ وابن حجر العسقلاني إنباء الغمر، تحرير حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٢، جزء ٣، ص ٣٣٩.
- ^{١٣} هو تقي الدين بن عقييل التميمي الداري الغزي صاحب كتاب الطبقات السنيّة في تراجم الحنفية، توفي ١٠١٠هـ/١٦٠١م.
- ^{١٤} كامل جميل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، عمان ١٩٨٥، المجلد الثاني، ص ٢٢٢.
- ^{١٥} عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٨٠٠-١٩١٨، القدس، ١٩٨٦، ص ١٤٥.
- ^{١٦} المرجع نفسه، ص ١٣٢-١٥٦.
- ^{١٧} كامل جميل العسلي، "العلامة خليل الخالدي ١٨٦٣-١٩٤١"، دورية دراسات الجامعة الأردنية، المجلد ١٥، العدد ٧ (١٩٨٨)، ص ٢٩٩ وما يليها.
- ^{١٨} عادل مناع، المرجع الآنف الذكر، ص ١٤٥ و ١٥٠.
- ^{١٩} المرجع نفسه، ص ١٥٠ و ١٥٤-١٥٥، وانظر أيضاً: رشيد الخالدي: *Palestinian Identity, Colombia*: University Press. NY. 1997
- ^{٢٠} العسلي. (دراسات)، ص ٣٠١.
- ^{٢١} مناع، المرجع الآنف الذكر، ص ٢١٣٥، وقد سُمي مناع الحاج راغب خطأً بالحاج غالب، وغالب هو أحد أبناء الحاج راغب.
- ^{٢٢} راجع ما يقوله مناع، المرجع نفسه، عن هذا المنشور، ص ١٤٩.
- ^{٢٣} المرجع نفسه، ص ١٤٦.
- ^{٢٤} رشيد الخالدي، المرجع الآنف الذكر، ص ٦٧-٧٦ و ٨٤-٨٥.
- ^{٢٥} رشيد الخالدي، المرجع نفسه، ص ٧٦-٨٧؛ ومناع، المرجع الآنف الذكر، ص ١٣٧؛ وناصر الدين الأسد، المرجع الآنف الذكر.

- ^{٢٦} مناع، المرجع نفسه، ص ١٥٢-١٥٣.
- ^{٢٧} المرجع نفسه، ص ١٥٩-١٦٠.
- ^{٢٨} وليد الخالدي، قبل الشتات، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٨٧، ص ٤١.
- ^{٢٩} مناع، المرجع الآنف الذكر، ص ١٥٢-١٥٣.
- ^{٣٠} العسلي، دراسات، ص ٣٠١.
- ^{٣١} مناع، المرجع الآنف الذكر، ص ١٣٩.
- ^{٣٢} المرجع نفسه.
- ^{٣٣} وليد الخالدي، دراسات فلسطينية: مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للكتور قسطنطين زريق، تحرير هشام نشابة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٨٨؛ "كتاب السيونزم أو المسألة الصهيونية" محمد روجي الخالدي، ص ٣٧ - ٨٣؛ وليد الخالدي، جريدة الحياة، لندن، "مئة عام على المؤتمر الصهيوني الأول"، ٢٩ آب / أغسطس ١٩٩٨.
- ^{٣٤} **Manuscripts in Palestine, by Laurence I. Conrad and Khader I. Salameh in World Survey of Islamic Manuscripts, Gen. Editor G. Roper (al-Furqan Islamic Heritage Foundation, London, 1993), Vol. 2, p563**
- ^{٣٥} العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، عمان ١٩٨١، ص ٣٩١، ويذكر عدداً آخر من الخزائن المقدسية التي ضاعت أو نهبت في حربي ١٩٤٨ و ١٩٦٧، ص ٣٩٠ وما يليها.
- ^{٣٦} يرد نص الوقفية في المجموع العائلي الآنف الذكر (انظر الحاشية رقم ٧) ص ٤٣٤ وما يليها.
- ^{٣٧} نص حجة الوقف في المرجع نفسه ص ٥٢٠ - ٥٢٩.
- ^{٣٨} عن نسخة بين أيدينا من حجة الوقف بتاريخ أواسط ربيع الثاني سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م منقولة طبق الأصل عن سجلات المحكمة الشرعية سجل ٢٦٧، صفحة ١٥٢.
- ^{٣٩} بين أيدينا نسخة عن (إعلان بتأسيس مكتبة عمومية في القدس الشريف) بخط الحاج راغب الخالدي بدون تاريخ، ولكن نظراً لإشارتها إلى وفاة والده الحاج راغب السيدة خديجة خاتم "قبل سنتين" من تحرير الإعلان، فلا بد من أن يكون قد حرر سنة تأسيس المكتبة، أي سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.
- ^{٤٠} المرجع نفسه.
- ^{٤١} العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، ص ٣٨٠، نقلاً عن فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية في الحافقين.
- ^{٤٢} مقدمة أبي الخير محمد بن محمود الحبال لبرنامج المكتبة الخالدية العمومية - انظر الحاشية رقم ٦.
- ^{٤٣} العسلي، المرجع السابق، ص ٣٨٠ - ٣٨١.
- ^{٤٤} العسلي، المرجع السابق، نقلاً عن فيليب دي طرازي، ص ٣٨٠.
- ^{٤٥} الحبال في مقدمته لبرنامج المكتبة الخالدية.
- ^{٤٦} المرجع السابق.
- ^{٤٧} فهرست المرجع نفسه، ولقد أحصينا عدد الكتب المخطوطة والمطبوعة من بينها؛ إذ إن الحبال يشير مقابل كل كتاب بكلمة "خط" أو "طبع".
- ^{٤٨} المرجع نفسه، ص ٨٦ - ٨٧.
- ^{٤٩} المرجع نفسه، ص ٨٨.
- ^{٥٠} الحبال في ذيل مقدمته الآنف الذكر.
- ^{٥١} العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، ص ٣٨٠ نقلاً عن فيليب دي طرازي؛ وعبد الله مخلص، "نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف"، في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٤، ١٩٢٤، ص ٣٦٦ - ٣٦٩، و ٤٠٩ - ٤١٣، وقد أعاد نشرها صلاح الدين المنجد في كتابه المخطوطات العربية في فلسطين، بيروت، ١٩٨٢، ص ٦٣.
- ^{٥٢} يذكر مخلص إهداء مرغوليوث كتبه إلى المكتبة - انظر المنجد، المرجع السابق، ص ٦٣.
- ^{٥٣} مخلص، المرجع نفسه، وانظر المنجد، المرجع السابق، ص ٦٣.
- ^{٥٤} أذكر شخصياً زيارات المستشرقين الواردة أسماؤهم.
- ^{٥٥} العسلي، المرجع السابق، ص ٣٨٠ - ٣٨١.
- ^{٥٦} محمد أسعد طلس: مقالات عن "دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها" في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٢٠، ١٩٤٥؛ والمجلد ٢١، ١٩٤٦، وقد أعاد نشرها المنجد في المرجع الآنف الذكر، ص ٨ - ٦٢.
- ^{٥٧} ترجم أسطفان إلى الإنجليزية عن الأصل التركي المحفوظ في الخالدية ووقفية خاسكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني بعنوان **An Endowment Deed of Khasseki Sultan, dated 24 May 1552** والوقفية بتاريخ ١٥٥٢م/ ١٥٥٢م، ونشرت الترجمة مع صورة للأصل التركي في **Vol. X, No. ٤. p. ١٧٠-١٩٤.**
- ^{٥٨} العسلي، المرجع السابق، ص ٣٨٥ - ٣٨٤.

^{٥٩} وممن أعطى أرقاماً خاطئة مبالغاً فيها عن عدد كتب الخالدية في أواسط الأربعينيات عارف العارف، الفصل في تاريخ القدس الذي يستشهد به العسلي، المرجع تطلبه في كتابه ص ٣٨٤.

^{٦٠} العسلي، مقالة عن "العلامة خليل الخالدي" ص ٣١٤، (انظر الحاشية رقم ١٧).

^{٦١} المرجع نفسه، ص ٣١٤.

^{٦٢} العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، ص ٣٨١.

^{٦٣} انظر الموسوعة الفلسطينية، دمشق ١٩٨٤، المجلد الثاني، ص ٢٤٤. ويعقوب العودات، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، عمان ١٩٧٦، ص ١٥٠-١٥١.

^{٦٤} راجع روجي الخطيب، تهويد القدس، الجزء الثاني، عمان ١٩٧١، ص ٢١ وما يليها. والعسلي، المرجع السابق، ص ٣٨٤؛ أبو مدين شعيب بن الحسن (وورد أيضاً الحسين) المغربي، الأنصاري، الأندلسي، التلمساني، الصوفي. أصله من الأندلس، وأقام بفاس، وسكن بجاية، وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور فأمر بإحضاره إلى مراكش، فمات وهو متوجه إليها؛ ودفن بالعباد بظاهر تلمسان، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. انظر التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب يوسف التادلي المعروف بابن الزيات (ت ٦١٧هـ) تحقيق أحمد التوفيق، ص ٣١٩؛ الأعلام، الزركلي ١٦٦/٣.

^{٦٥} معلومات أرسلها إلى حازم الخالدي في أواخر الستينيات في تقرير خاص مع تفصيلها.

^{٦٦} معلومات نقلها إلي كامل بن حيدر الخالدي.

^{٦٧} معلومات نقلها إلي كامل بن حيدر الخالدي.

^{٦٨} نشر العسلي الكتابات على شواهد القبور الثلاثة في صحن التربة في كتابه معاهد العلم في بيت المقدس، ص ٣٨٦؛ انظر أيضاً وصفاً شاملاً لمبنى تربة بركة خان وهي موقع الخالدية وثاني أقدم بناء مملوكي بالقدس في الكتاب الموسوعي لـ

^{٦٩} Mameluke Jerusalem. by M. H. Burgoyne من منشورات المهرجان العالمي الإسلامي، لندن ١٩٨٧، ص ١٠٩-١١٧.

^{٦٩} وضع لورنس كونراد أيضاً بالاشتراك مع بريارا كيلنر Barbara Kellner-Heinkele دراسة بعنوان

Ottoman Resources in the Khalidi Library in Jerusalem. Proceeding of the Ninth Symposium of Pre-Ottoman and Ottoman Studies. Ed. By Amnon Cohen and Anny

Singer. Jerusalem: Manes University Press. 1993. وتشمل هذه الدراسة إضافة إلى وصف مخطوطات

الخالدية العربية وصفاً لـ ١٨ مخطوطة بالفارسية و ٣٦ مخطوطة بالتركية من موجودات الخالدية، وكانت السيدة بريارا كلنر

هينكلي شريكة كونراد في هذه الدراسة قد زارت المكتبة بدعوة من جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية، وكان العالمان Donald P.

Little and Turgay A. Uner قبل كونراد وهينكلي قد وضعاً بحثاً عن ٤٦ وثيقة عثمانية مختارة من وثائق الخالدية

نشر في المجلة الألمانية Die Welt des Islams، 20، 1980.

^{٧٠} وصف كونراد هذا الكشف في المرجع ذاته أي في دراسته المشتركة مع هينكلي.

^{٧١} نشر توني بيش وصفاً لأعمال الترميم التي قام بها أثناء زيارته إلى المكتبة بعنوان: "صيانة محتويات مكتبة الخالدية بالقدس" في كتاب

صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، من أعمال المؤتمر الثالث المؤسسة للتراث الإسلامي، لندن، ١٩٩٨، ص ٣٩-٤٤.

^{٧٢} رشيد الخالدي: Palestinian Identity، Columbia University Press. NY. 1997.